

ميشيل د. فايتسل | Michelle D. Weitzel \*

ترجمة معين رومية | Translated by Moeen Roumeih \*\*

## هندسة الانفعال: سياسة الشارع والأسس الجزئية لممارسة الحكم \*\*\*

### Engineering Affect: Street Politics and Microfoundations of Governance

**ملخص:** كان الانفعال مكوناً أساسياً في الانتفاضات العربية، ولا يزال وسيطاً مهماً لتشكيل السياسة اليومية في الشرق الأوسط وخارجه. مع ذلك، وإن كنا نشهد بدايات التفكير في الانفعال باعتباره جزءاً لا يتجزأ من دراسات الحركات الاجتماعية، فإن محاولات التحكم في الانفعاليين الفردي والجماعي في ممارسة فن الحكم تظل غير مدروسة على نحو كافٍ، رغم الأدلة القوية على أن الانفعال والعاطفة مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالسلوك السياسي وصنع القرار في مجموعة واسعة من القضايا تمتد من تفضيلات الناخبين إلى السياسة الخارجية. تبحث هذه الدراسة في كيفية حدوث مثل هذا التحكم، وتنظر إلى الجسد الحسي جسراً وموقعاً رئيساً للتفاعل والمنافسة لمشاريع متنوعة تسعى للتأثير في النتائج السلوكية، من خلال التلاعب بالفضاء العام. ومن بين الحواس الجسدية، تميّز الدراسة المجال السمعي بصفته مولّداً فعالاً للانفعال، وتفحص تشابك الصوت والسمع والسلطة في الأساليب التي ينخرط بها الجسد الحسي روتينياً في مشاريع الدولة. وتعتمد الدراسة على أمثلة من الاحتجاجات التي تردد صداها عبر الشرق الأوسط خلال الفترة 2010-2012، وتؤطرها مع سوابق تاريخية مستقاة من أعمال الأرشيف الأصلي، لتربط بين الخبرة الفينومينولوجية والنتائج السياسية بغية الكشف عن الكيفية التي تهندس بها النخبة والفاعلون الثانويون، على حد سواء، المدخلات الحسية مثل الصوت، لإحداث تأثير سياسي. وبذلك أحاج بأن كلاً من الفهم الأفضل لتقنيات وطرائق التحكم التي تدخل في هيكلية البيئة الحسية شرطٌ مسبقٌ ضروري لإدراك دور الانفعال والعاطفة في السياسة.

**كلمات مفتاحية:** الانفعال، العواطف، الصوت، الانتفاضات العربية، الفضاء العام.

\* باحثة ما بعد الدكتوراه في قسم العلوم الاجتماعية في جامعة بازل، سويسرا.

Postdoctoral Researcher, the Department of Social Sciences at the University of Basel, Switzerland.

Email: [weitzel@newschool.edu](mailto:weitzel@newschool.edu)

\*\* كاتب ومترجم من سورية.

Author and Translator from Syria.

Email: [mrrou100@gmail.com](mailto:mrrou100@gmail.com)

\*\*\* نشرت في الأصل في:

*Middle East Law and Governance*, vol. 11, no. 2 (2019), pp. 203–243.

**Abstract:** Affect was an essential component of the Arab uprisings, and it remains an important medium for shaping everyday politics in the Middle East and beyond. Yet while affect is beginning to be conceived as integral to studies of social movements, endeavors to control individual and collective affect in the praxis of statecraft remain understudied—despite robust evidence that affect and emotion are intimately entwined with political behavior and decision-making on a wide range of issues spanning voter preference to foreign policy. This article examines how such control takes effect, situating the sensory body as a bridge and key site of interaction and contestation for diverse projects that seek to influence behavioral outcomes via the manipulation of public space. From among the bodily senses, it singles out the auditory realm as a particularly potent generator of affect and examines the entanglement of sound, hearing, and power to foreground ways the sensory body is routinely engaged in state projects. Drawing on examples from the protests that ricocheted across the Middle East from 2010–2012, and framing these with historical antecedents from original archival work, this article bridges phenomenological experience and political outcomes to reveal how sensory inputs such as sound, wielded by elite and subaltern actors alike, are engineered for political effect. In so doing, I argue that a necessary prerequisite for grasping the role of affect and emotion in politics is a better understanding of technologies and modalities of control that go into the structuring of the sensory environment.

**Keywords:** Affect, Emotions, Sounds, Arab Springs, Public Space.

## الشعب يريد إسقاط النظام

حدثت مؤخراً طفرة في التوصيفات التي تموضع تجارب الشارع المشتركة في قلب التعبئة الجماعية والمقاومة. وتفسر بعض الدراسات الأكاديمية، التي تعتمد على تصورات سابقة عن الحشود باعتبارها غير عقلانية، طاقة الشارع هذه سلبياً - في تلميح إلى الغوغاء ومخاطر ذهنية القطيع<sup>(1)</sup>. لكن بعض التوصيفات المتفائلة تتحدث عن طاقة شعبية تتفجر إذا توافرت لها الشروط الملائمة. ففي هذا المعسكر الأخير، وصف مارك ليفين وبريان رين احتجاجات الشوارع في عامي 2010 و2011 في شارع الحبيب بورقيبة في تونس، وميدان التحرير في القاهرة، ودوار اللؤلؤة في المنامة، وساحة التغيير في صنعاء، والعديد من الأماكن الأخرى في الشرق الأوسط، بأنها "طائرة" Emurgent (لفظة مبتكرة تجمع بين منبثق Emergent وعاجل Urgent)، في محاولة للتقاط العناصر العاطفية في الضرورات الملحة والتحويلات التي سادت حينئذ<sup>(2)</sup>. وبالمثل، سعت هيلغا طويل-الصوري لتتبع

(1) كان كتاب غوستاف لوبون مؤثراً في النظر إلى التجمعات السياسية في مثل هذا الضوء السلبي:

Gustave Le Bon, *The Crowd: A Study of the Popular Mind* (New York: MacMillan, 1896).

(2) يجادل المؤلفان بأن سيرورات الشوارع "الطائرة" هذه تزعزع الاستقرار، بل تعيد حتى تشكيل علاقات القوة التي كانت مهيمنة ومستقرة سابقاً. ينظر:

Mark LeVine & Bryan Reynolds, "Theatre of Immediacy: Dissident Culture, Revolutionary Performance, and Transversal Movements in the Arab World," in: Karin Van Nieuwkerk, Mark LeVine & Martin Stokes (eds.), *Islam and Popular Culture* (Austin: University of Texas Press, 2016).

وفي موضع آخر، يشير ليفين إلى التجربة المقارنة لمصر وفلسطين لتسليط الضوء على "الأهمية المطلقة للقدرة على الانتقال من العالم الافتراضي إلى العالم المادي في عملية تحويل الذاتيات السياسية". ينظر:

Mark Levine, "Theorizing Revolutionary Practice: Agendas for Research on the Arab Uprisings," *Middle East Critique*, vol. 22, no. 3 (2013), p. 196.

أهمية الأجواء التي سادت الشارع، ولفتت الانتباه إلى الكيفية التي مكّن بها الفضاء العام المواطنين من "الالتقاء، والتجول، والتسكّع، والتجمع، والمناقشة، والمشاركة [...] والاحتجاج"، وحذرت من نزعة الحتمية التكنولوجية في التوصيفات التي تركز حصرياً على الأهمية السببية لوسائل التواصل الاجتماعي في التعجيل بالانتفاضات<sup>(3)</sup>. تقاوم هذه البحوث التي تتناول سياسة الشارع العربي إغراء خطاب "الثورة 2.0"<sup>(4)</sup>، وتعتمد بدلاً من ذلك عدسة دوركهايمية جديدة ترى بوساطتها الغليان الجماعي بغية استكشاف دور الفضاء والمكان والمعالم المادية في الفعل الجماعي وفن الحكم<sup>(5)</sup>.

انددمجت دراسات سياسة الشارع والأسس الجزئية<sup>(6)</sup> للحكامة في الشرق الأوسط في ثلاثة خطوط

(3) Helga Tawil-Souri, "It's Still About the Power of Place," *Middle East Journal of Culture and Communication*, vol. 5 (2012), p. 90.

(4) تمحورت كثرة من تفسيرات حوادث الانتفاضات العربية على وسائل التواصل الاجتماعي وأكثر الأشكال التقليدية لوسائل الإعلام، مثل التلفزيون والراديو. ينظر على سبيل المثال:

Linda Herrera, *Revolution in the Age of Social Media: The Egyptian Popular Insurrection and the Internet* (London: Verso, 2014); Marc Lynch, "After Egypt: The Limits and Promise of Online Challenges to the Authoritarian Arab State," *Perspectives on Politics*, vol. 9, no. 2 (2011), pp. 301–310; Mark Lynch, *The Arab Uprisings: The Unfinished Revolutions of the New Middle East* (New York: Public Affairs, 2012); Mark Lynch, "Media, Old and New," in: Marc Lynch (ed.), *The Arab Uprisings Explained: New Contentious Politics in the Middle East* (New York: Columbia University Press, 2014); Habibul Haque Khondker, "The Role of the New Media in the Arab Spring," *Globalizations*, vol. 8, no. 5 (2011), pp. 675–79; Craig McGarty et al., "New Technologies, New Identities, and the Growth of Mass Opposition in the Arab Spring," *Political Psychology*, vol. 35, no. 6 (2014), pp. 725–740; Zeynep Tufekcip & Christopher Wilson, "Social Media and the Decision to Participate in Protest: Observations from Tahrir Square," *Journal of Communication*, vol. 62, no. 2 (2012), pp. 363–379.

(5) على سبيل المثال، علق رشيد الخالدي على "الطاقة" و"الدينامية" التي أطلقها الشباب العرب من خلال احتشادهم الجماعي. وبالمثل تحدث ديريك غريغوري عن أن "حيوية" الجمهور المتنوع كانت عنصراً أساسياً لاستعادة الفضاء والاستيلاء عليه من جديد. ينظر: Rashid Khalidi, "Preliminary Historical Observations on the Arab Revolutions of 2011," in: Bassam Haddad, Rosie Bsheer & Ziad Abu-Rish (eds.), *The Dawn of the Arab Uprisings: End of an Old Order?* (London: Pluto Press, 2012), p. 10; Derek Gregory, "Tahrir: Politics, Publics, and Performances of Space," *Middle East Critique*, vol. 22, no. 3 (2013), pp. 235–246.

وفيما يخص الغليان الجماعي، ينظر:

Emile Durkheim, *Elementary Forms of Religious Life*, Carol Cosman (trans.) (Oxford: Oxford University Press, 2001 [1912]).

(6) كما هو الحال غالباً، تتطور الكلمات المفتاحية في الوسط الأكاديمي على طول مسارات حوارية. انبثق أحد هذا المسارات في النصف الثاني من القرن العشرين بوساطة الفيلسوفين الفرنسيين جيل دولوز وفيليكس غوتاري، ويعتمد على مصطلح "السياسة الدقيقة" لوصف التداخلات الصغيرة الحجم الهادفة إلى تشكيل تفضيلات ومواقف وتصورات الذوات الفردية على نحو يحقق مصلحة الحكم. ينظر:

Gilles Deleuze & Félix Guattari, "1933: Micropolitics and Segmentarity," in: *A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia*, Brian Massumi (trans.) (London: Continuum Press, 2003).

يعتمد المسار الثاني من الأدبيات، الأكثر انتشاراً في العلوم السياسية الأميركية، على مصطلح "الأسس الجزئية للسلطة" الذي طُبّق، على عكس "السياسات الدقيقة"، بأكثر مرونة وأقل اتساقاً إلى حد ما. لمراجعة المفهوم، ينظر:

Jay Barney & Teppo Felin, "What are Microfoundations?" *The Academy of Management Perspectives*, vol. 27, no. 2 (2013), pp. 138–155.

في هذه الدراسة، أتعامل مع مصطلحي "الأسس الجزئية" و"السياسات الدقيقة" على أنهما مترادفان.

أساسية، موحدة جزئياً بتوجه معرفي يمنح أفضلية لتكوين المعنى محلياً ولأشكال السياسة "اليومية".  
ركز أحد خطوط الاستقصاء على التأثير السياسي للجماليات، معتمداً تأكيد رولان بليكر، في عام  
2001، أنّ التمثيل هو دائماً فعل سلطة/ قوة<sup>(7)</sup>، متحدياً الأسس الوضعية لأبحاث العلوم السياسية.  
يستمد باحثو هذا "المنعطف الجمالي" أدواتهم من مجالات الأدب والفنون البصرية والموسيقى  
والسينما بغية تقديم فهم أفضل للعالم السياسي<sup>(8)</sup>.

في الأبحاث التي تخص الشرق الأوسط، ألقى مؤخرًا الاهتمام بالجماليات الضوء على استراتيجيات  
المقاومة ودوافع الفعل الجماعي<sup>(9)</sup>، حتى مع وجود أبحاث أقدم وثقت استخدام الدولة للرموز  
البصرية في تشكيل النزعة القومية والحفاظ على التحكم السلطوي<sup>(10)</sup>. وقد أدخلت هذه الأبحاث  
آليات ثقافية على المستوى الجزئي في التفسيرات السببية، مشكّلة بذلك ثقلاً موازناً مقابل التركيز  
الشديد على العوامل البنيوية، وهو أمر طالما ميّز الأبحاث بشأن الحركات الاجتماعية، والسياسة من  
منظور أدنى إلى منظور أعلى<sup>(11)</sup>.

(7) Roland Bleiker, "The Aesthetic Turn in International Political Theory," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 30, no. 3 (2001), p. 515.

(8) Bleiker, pp. 509–533.

من المساهمين الآخرين في هذه القضية:

Chris Brown, Susan Carruthers, Costas Constantinou, James der Derian, Bülent Diken, Mark Lacy, Carsten Lausten, Iver Neumann, Louiza Odysseos, Thaddeus Oliver, Michael Shapiro, Anthony Smith, and Christine Sylvester

وللاطلاع على آخر البحوث حول هذا المنعطف الجمالي، ينظر:

"Forum: The Aesthetic Turn at 15," *Millennium: Journal of International Studies*, vol. 45, no. 2 (2017).

(9) يوضح تشارلز تريپ، على سبيل المثال، أن الملتصقات والكتابة على الجدران و"فن التشويه" والفنون الجميلة يمكنها أن تؤطر  
الوضع الطبيعي، حتى في الوقت الذي تلفت فيه الانتباه إلى "سماته الشاذة جداً".

Charles Tripp, "The Art of Resistance in the Middle East," *Asian Affairs*, vol. 43, no. 3 (2012), pp. 393–409.

وبالمثل، تأخذ جيسيكيا وينيفر الجماليات على محمل الجد في بحثها حول الفعل السياسي في مصر. كتبت وينيفر "لقد أدت  
أعمال الترتيب الجمالي، من التزمير الإيقاعي للسيارة والزغاريد، إلى تنظيف القمامة طواعية في 'يوم تجميل ميدان التحرير'، دوراً  
رئيساً في تحفيز الفعل السياسي الجماعي".

Jessica Winegar, "A Civilized Revolution: Aesthetics and Political Action in Egypt," *American Ethnologist*, vol. 43, no. 4  
(2016), p. 609.

وينظر أيضاً فيما يخص جماليات انتفاضات الربيع العربي:

Simon Hawkins, "Teargas, Flags and the Harlem Shake: Images of and for Revolution in Tunisia and the Dialectics of  
the Local in the Global," and Dalia Wahdan, "Singing the Revolt in Tahrir Square: Euphoria, Utopia, and Revolution,"  
both in: Phina Werbner, Martin Webb & Kathryn Spellman-Poots (eds.), *The Political Aesthetics of Global Protest: The  
Arab Spring and Beyond* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2014).

(10) ينظر على سبيل المثال:

Lisa Wedeen, *Peripheral Visions: Publics, Power, and Performance in Yemen* (Chicago: Chicago University Press,  
2008); Timothy Mitchell, *Colonizing Egypt* (Berkeley: University of California Press, 1991).

(11) James M. Jasper, "The Doors that Culture Opened: Parallels Between Social Movement Studies and Social  
Psychology," *Group Processes and Intergroup Relations*, vol. 20, no. 3 (2017), pp. 285–302.

وبالنظر إلى ميلهم المعرفي، فقد احتفل الباحثون في الجماليات وأثرها في السياسة بالأدلة "اليومية" المتعلقة بالأشياء، والطرز المعمارية، والتشكيلات الحضرية، والحوادث المرئية والملموسة و"الصلبة"؛ سعياً لإضفاء شرعية أنطولوجية على أبحاثهم. وثمة خطأ ثانٍ، متداخل جزئياً، من الأبحاث حول الأسس الجزئية وسياسة الشارع، ركّز اهتمامه على السياسة المادية للفضاء<sup>(12)</sup>. وتعدّ معالجة آصف بيّات لـ "الانتهاك الهادئ للأحوال العادية"<sup>(13)</sup> في تحليله للثورة الإيرانية أحد الأمثلة التأسيسية لهذا الخط. ومؤخراً، تضمنت التوصيفات التي تؤكد العلاقات المكانية للسلطة تحليل ديان سينغمان للمطالبة الشعبية بالفضاء في القاهرة قبل الانتفاضات العربية<sup>(14)</sup>؛ ومعالجة جيليان شويدلر للاحتجاجات في مسجد الكالوتي المناهضة لإسرائيل في الأردن<sup>(15)</sup>؛ وتصوير منى الغباشي الرائع للتكتيكات المكانية التي تضمنها نشاط الشارع في مصر (من إغلاق الطرق إلى التجمع في الشوارع الجانبية الصغيرة)<sup>(16)</sup>؛ وتتبع ناصر رباط لفضاءات التعبير السياسي والتجمع من المساجد إلى الساحات العامة<sup>(17)</sup>؛ وتحليل حسام حسين سلامة للتحوّل الذي حدث في تصور ومعنى واستخدام الفضاء العام في القاهرة<sup>(18)</sup>.

(12) تتبع الدراسات التي تؤكد أهمية العلاقات المكانية للسلطة تراثاً فكرياً يعود إلى هنري لوفيفر في كتابه (إنتاج الفضاء) الصادر عام 1974، وقد لفت الانتباه فيه إلى الطرائق التي تضيف بها الأفعال والظروف والسلوكيات خصائص على المكان/الفضاء تُكتسب بمرور الوقت وتشكّل الوقائع اللاحقة. ينظر:

Henri Lefebvre, *The Production of Space* (Malden: Blackwell Publishers, 1991).

وغالباً ما تتشابه دراسات إنتاج الفضاء مع الأبحاث التي تؤكد على الممارسات اليومية؛ لأن أفعالنا تتجسد في علاقات مكانية، حتى لو أن التركيز على الفعل يحول التركيز بمهارة بعيداً عن البنى المادية. يلفت ميشيل دي سيرتو الانتباه إلى الابتذال المحتمل لعلاقات السلطة، مُبرزاً الممارسات المكانية اليومية الصغيرة الحجم، موضّحاً كيف أنها تمثل تمرّداً جزئية ضد الترتيب الطبيعي المعتاد للأشياء من خلال الكشف عن الكيفية التي يغيّر بها سوء الاستعمال المقصود للأشياء معانيها عبر الزمن. ينظر:

Michel de Certeau, *The Practice of Everyday Life* (Berkeley: University of California Press, 1984.)

وعن العلاقة بين الموسيقى والمكان/الفضاء، ينظر:

Ana Maria Ochoa Gautier, *Aurality: Listening an Knowledge in 19th Century Columbia* (Durham: Duke University Press, 2014); Ted Swedenburg, "From Sayed Darwish to MC Sadat: Sonic Cartographies of the Egyptian Uprising," in: Valerie Hoffman (ed.), *Making the New Middle East: Politics, Culture, and Human Rights* (Syracuse: Syracuse University Press, 2019).

(13) Asef Bayat, *Street Politics: Poor People's Movements in Iran* (New York: Columbia University Press, 1997).

(14) Diane Singerman, "The Siege of Imbaba: Egypt's Internal 'Other' and the Criminalization of Politics," in: Diane Singerman (ed.) *Cairo Contested: Governance, Urban Space, and Global Modernity* (Cairo: Cairo University Press, 2009), pp. 111-144.

(15) Jillian Schwedler, "Routines and Ruptures in Anti-Israeli Protests in Jordan," in: Frédéric Volpi & James M. Jasper (eds.), *Microfoundations of the Arab Uprisings: Mapping Interactions between Regimes and Protesters* (Amsterdam: Amsterdam University Press, 2018), pp. 67-88.

(16) Mona El Gobashy, "The Praxis of the Egyptian Revolution," *Middle East Report*, vol. 258, People Power (Spring 2011), pp. 2-13.

(17) Nasser Rabat, "The Arab Revolution Takes Back the Public Space," *Critical Inquiry*, vol. 39, no. 1 (August 2012), pp. 198-208.

(18) Hussam Hussein Salama, "Tahrir Square: A Narrative of Public Space," *Archnet-IJAR: International Journal of Architectural Research*, vol. 7, no. 1 (2013), pp. 128-138.

وعلى الرغم من أن مؤلفين مثل سينغمان، والغباشي، وآخرين، يلمحون إلى التحول النفسي الذي حصل بفعل التجمع في الأمكنة العامة، فإن معظم التوصيفات الجمالية والمكانية، التي تسلط الضوء على التغيرات الجسدية المذهلة عبر مدن الشرق الأوسط، لم تفعل سوى القليل في مجال التنظير لتجربة الاندراج الجسدي في هذه العملية التحويلية. وتظل القدرات الفعالة والإنجازات للأجساد الفردية والجماعية في مجال الجماليات والفضاء، في أغلب الأحيان، ضمنية، أو مسلّمًا بها، أو يشار إليها على أنها طاقة الجوّ العام، كما في الأمثلة الافتتاحية. وتمثّل صياغة جوديث بتلر لمصطلح "الأجساد المتحالفة" استثناءً ملحوظًا، فهي تضع الجسد في مركز سياسة الشارع إبان الانتفاضات العربية. تقول بتلر: "إن إعادة التفكير في فضاء الظهور من أجل فهم قوة المظاهرات العامة في عصرنا وتأثيرها، تتطلب منّا فهم الأبعاد الجسدية للفعل، وما يتطلبه الجسد، وما يمكن أن يفعله الجسد، خاصة عندما يجب علينا أن نفكر في الأجساد وهي معًا، وما الذي يجعلها هناك، وما شروط ثباتها وقوتها"<sup>(19)</sup>. ويمثّل تصور بتلر لـ "الأبعاد الجسدية للفعل" جسرًا يربط بين علم الأحياء وعلم النفس والإمكان البنوي والأيدولوجيا، وحزمة كثيفة من العلاقات التي تعدّ في حد ذاتها من مقومات المشاعر والعواطف وصانعة لها.

تشابك الجماليات والفضاء على نحو لا ينفصم مع تجربة الجسد والانفعال والعاطفة. وعلى الرغم من غزارة الأبحاث عن العاطفة والفعل الجماعي، فإن توصيفات قليلة فقط تضمّ الجماليات والفضاء والجسد معًا بصفة صريحة؛ ربما لأن الارتباط بينها يعتبر من المسلّمات، أو ربما لأن العلاقة بين الأجزاء المكونة لم تُدرس نظريًا دراسة كافية على نحو يجعلها موقعًا واضحًا للبحوث التجريبية. وبهذا المعنى، قد تكون هذه السلاسل البحثية تتبّع مسارات متوازية، وليست متشابكة؛ لأن النسيج الضام الذي يربطها لم يتبلور تمامًا موضوعًا للدراسة. ونتيجة لذلك، غالبًا ما تنجح البحوث في سياسة الجماليات إلى سجلات في موضوعات التمثيل والخطاب، في حين تميل التوصيفات المكانية إلى مفاهيم التخطيط المدني؛ الأمر الذي يعيّب التجربة الجسدية بوصفها موضوعًا متميزًا. ثمّ إن الدراسات الأكاديمية الناشئة التي تتناول دور العاطفة في الحركات الاجتماعية (والسياسة بعامة) تحصر بحوثها في الاستكشافات النفسية، وتساءل عن الكيفية التي يؤدي بها تصاعد أو تقلص الخوف

(19) Judith Butler, "Bodies in Alliance and the Politics of the Street," Lecture held in Venice, September 7/9/2011, by the Office for Contemporary Art Norway, The European Institute for Progressive Politics, accessed on 14/1/2022, at: <https://bit.ly/34KyKR3>

مايكل فيولا هو باحث آخر يكتب في هذا السياق، وإن لم يكن عن الشرق الأوسط أو انتفاضات الربيع العربي. ينظر:

"The Body Politic: Bodily Spectacle and Democratic Agency," *Political Theory*, vol. 46, no. 2 (2018), pp. 197-217.

وتمثّل بانو بارغو Banu Bargu صوتًا مهمًا آخر في هذا النوع من الدراسات. ويدرس كتابها *Starve and Immolate: The Politics of Human Weapons* استراتيجيات السجناء في تحويل الجسم البشري إلى سلاح كأسلوب للمقاومة السياسية في مواجهة العجز. ينظر: *Starve and Immolate: The Politics of Human Weapons* (New York: Columbia University Press, 2014).

أو الغضب أو الاشمئزاز أو الحب أو التعاطف أو الفرح إلى التأثير في مأزق سياسي معيّن<sup>(20)</sup>. إنّ علماء نظرية الانفعال هم الأقرب إلى تجسير هذه الانقسامات، ودراسة الجسد على نحو صريح. لكنهم في مساعيهم لاقتطاع فضاء مفاهيمي لموضوع تحليلي "جديد" يميلون إلى التقليل من أهمية العوامل البيئية، ولا تزال دراسات الحالة التجريبية بشأن الانفعال نادرة. ومن ثمّ، فإنّ تحسين فهمنا لكيفية توليد الانفعال، وهندسته، ومشاركته، والتلاعب به، لا يمثل وسيلة لإثراء مختلف خيوط البحث حول الأسس الجزئية للسياسة فحسب، بل يوفر فرصة لمساعي فهم السيطرة السياسية أيضًا.

تعترف هذه الدراسة بالطابع المنتج للفضاء الاجتماعي، وتعيد تأكيد أهمية العوامل والحوادث الجمالية اليومية العادية من حيث هي مواقع للسياسة. لكنها تسعى لإدراك والتقاط العناصر التي تُحيي الرابطة بين العلاقات المكانية للسلطة وجماليات الحياة اليومية، وذلك تحديدًا عن طريق عزل الظواهر التي تُسهّم في هندسة الانفعال والعاطفة والتلاعب بهما، ونظر إليهما بصفة مشتركة على أنهما إدراك متجسد، كما أوضح أدناه. يُغذي الإدراك المتجسد طيفًا واسع من الظواهر؛ لذا سوف أقتصر على الأدلة المستمدة من مجال السمع والصوت. وأنا أضبط البحث بالمجال السمعي؛ لأن العلاقة بين الرؤية البصرية والسياسة سبق أن رُسخت على نحو أكمل ومن ثمّ فهي أكثر بدهاة، وكذلك أيضًا لأن الصوت يُفهم على أنه مرتبط خاصة بالمشاعر<sup>(21)</sup>. ومع أنّ هذا الارتباط معترف به، فإنّ تأثير الصوت في المشاعر والسياسة لا يزال غير مدروس على نحو كافٍ.

يُبرز الشارع تنوعًا كبيرًا في الأصوات، حتى قبل اعتبار الاختلافات في المكان والزمان. وأبدأ في هذه الدراسة بالإصغاء إلى الأصوات الأيقونية للاتفاقيات العربية: الهتافات، والشعارات، والأغاني التي أصبحت أناشيد المقاومة، وأزيز الحشود. وبعد ذلك، أضغ هذه اللحظات الأكثر استثناء للسياسة "الصاخبة" في سياق المحاولات اليومية المتعلقة بتنظيم وهندسة المشهد الصوتي للشارع في الشرق الأوسط، وأعتمد في ذلك على أمثلة تاريخية ومعاصرة. يكشف النطاق الزمني للأدلة عن استمرارية لهذا النمط من الضبط والتحكم، حتى عندما يشير تنوع الأصوات إلى قابليتها للتطويع ومداهها. ولا أسعى لتقديم دراسة شاملة لمسار الصوت، بل أعمل بدلاً من ذلك على إبراز

(20) ينظر على سبيل المثال:

Todd Hall, "We will Not Swallow This Bitter Fruit: Theorizing a Diplomacy of Anger," *Security Studies*, vol. 20, no. 4 (2011), pp. 521–555; Naomi Head, "Costly Encounters of the Empathetic Kind: A Typology," *International Theory*, vol. 8, no. 1 (2016), pp. 171–199; Oded Löwenheim & Gadi Heimann, "Revenge in International Politics," *Security Studies*, vol. 17, no. 4 (2008), pp. 685–724; Paul Saurette "You Dissin Me? Humiliation and Post-9/11 Global Politics," *Review of International Studies*, vol. 32, no. 4 (2006), pp. 495–522.

(21) يعود الفهم الاجتماعي لقدرة الصوت على التأثير في السلوك إلى الأساطير اليونانية التي تورد قصصًا عن موسيقى أرفيوس التي تتمتع بقدرة حاسمة على تحريك كل شيء، من الصخور الثقيلة إلى قلب هادس، ويعزفها أرفيوس لإله الموتى كي يمنح يورديس حبيبته فرصة أخرى في الحياة.

"Orpheus," in: *D'Aulaires' Book of Greek Myths* (Delacourt Press, 1962), p. 102;

ينظر أيضًا:

A.J. Racy, "Domesticating Otherness: The Snake Charmer in American Popular Culture," *Ethnomusicology*, vol. 60, no. 2 (2016), p. 200; Joscelyn Godwin, *Music, Mysticism, and Magic: A Sourcebook* (London: Routledge, 1988).

الأمثلة التي تكشف، على نحو أفضل ما يمكن، عن نمط من القوة والمشاركة السياسيتين، وهو أمرٌ مرّ غالبًا من دون أن يلاحظه أحد.

يربط الصوت بصفته قوة مادية اهتزازية الفضاء والجماليات والعواطف معًا. والصوتُ مكاني بطبيعته، تنتقل موجاته عبر الأجسام، ويرتد عن الأسطح الصلبة، ويتدرد صدها عبر ممرات المدن، وينتشر بصخب أو هدوء وفقًا للتقنيات التي تنتجها والشروط الفيزيائية - السمعية التي تمكّنه. إن الأصوات حاضرة تلقائيًا في كل موضع في الفضاء العام، لكنها أيضًا تُصمّم جماليًا وتنظّم وفقًا للمعايير الثقافية، وتتجلى في الموسيقى أو الترانيم أو الإيقاعات المتواترة. وهذا هو الحال على وجه الخصوص في الأداء العام للسياسة. والصوت أيضًا متشابك على نحو معقد مع الجسد: يخترق الأجساد كاهتزاز، ويجري تحليله ويصير ذا معنى بوساطة آذاننا الحاذقة وقشرتنا الدماغية السمعية. وفي الوقت نفسه، ينبعث من داخلنا؛ يخرج من معدتنا وصدردنا وحنجرتنا وفمنا منطوقًا لينعش وجودنا الدينامي والحيوي في العالم. لذلك فإن فهم كيفية اشتغال الصوت في الفضاء العام، وعلاقته بالإدراك المتجسد، يعدّ بتعميق فهمنا لدور البيئة الحسية في اللحظات السياسية غير العادية مثل الانتفاضات العربية، وكذلك في النماذج اليومية للسيطرة وممارسة الحكم.

في الجزء المتبقي من هذه الدراسة، أوضح ما أعنيه بالإدراك المتجسد، وأضع عملي ضمن الأدبيات التي تدرس الانفعال والعاطفة في السياسة العالمية، قبل أن أبين كيف يشكّل الصوت عنصرًا حيويًا في التنشيط، و"الأوضاع الطارئة" و"الأجساد المتحالفة"، ولذلك سعى الباحثون الذين ينظرون للأسس الجزئية للمقاومة في الانتفاضات العربية لفهم دوره. والأمثلة التي أعرضها تلفت الانتباه إلى الطريقة التي يقوِّض بها الصوت في الفضاء العام المسافة بين الأجساد، وكيفية استخدامه لتحفيز الروح المعنوية أو إضعافها، وكيف يعمل بصفته "اقتباسًا" ثقافيًا؛ ما يؤدي إلى تنشيط المرجعيات الإدراكية المشتركة التي توجه صناعة المعنى اللحظية. وأحتم بمناقشة موجزة للطرائق التي أعيد بها إنتاج آليات التأثير الصوتي هذه في خدمة مشاريع الدولة الهادفة إلى السيطرة، من أعلى إلى أدنى، على سكانها وأراضيها. يستند تحليلي للصوت في الانتفاضات العربية إلى الشهادات الشفوية وأرشيف الفيديو والمدونات والتقارير الصحفية والتسجيلات الصوتية والصور. واستُمدت الأمثلة التاريخية لاستخدام الصوت في هندسة الانفعال من العمل الأرشيفي الأصلي الذي أُجري باللغة الفرنسية في مركز أرشيف ما وراء البحار في مدينة أكس أون بروفانس.

## قضايا نظرية مهمة

قبل الانتقال إلى التأثير الصوتي في الانتفاضات العربية، يبدو ضروريًا تعيين الحدود بين انشطارين مهمين ضمن الباحثين الذين يدرسون المشاعر السياسية.

يختص الانشطار الأول بالتمييز بين الانفعال والعاطفة. إنّ نظرية الانفعال التي طورها برايان ماسومي على نحو بارز في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ثم تبناها باحثون عبر أدبيات



متعددة، تميّز الانفعال من العاطفة، واصفةً إياه بأنه غير معرفي، أو بدائي، أو "تلقائي"؛ بمعنى أنه رد فعل ارتكاسي أو لإرادي<sup>(22)</sup>. على هذا النحو، يُفهم الانفعال على أنه "سابق" لأشكال المعرفة التي تتفاعل مع المعنى الثقافي. ويميز سيمون طومسون وبول هوغيت بوضوح بين الانفعال والعاطفة بصفتها شكلين من أشكال المشاعر البشرية، حتى مع تأكيدهما تداخلهما وتشابكهما، ويقولان في هذا السياق: يتعلق الانفعال بالبعد الأكثر تجسّداً وغير المتشكل والأقل وعياً للمشاعر الإنسانية، في حين أن العاطفة تتعلق بالمشاعر الأكثر وعياً؛ ذلك أنها أكثر رسوخاً في اللغة والمعنى. إنّ انفعالاً، مثل القلق، يُختبر بطريقة جسدية، في حين أن عاطفة، مثل الغيرة، تتجه نحو موضوعات (عاشق أو غريم)، وهو ما يعطيها معنى وتركيزاً وقصدًا<sup>(23)</sup>.

وإذا كان لهذا التمييز فائدة تحليلية واضحة ومهمة، فإن الصيغة تؤسس لمفارقة مفاهيمية متأصلة. إن حصر الانفعال في عالم الاستجابة التلقائية وإفراغه من القصدية الواعية، ينزع الفاعلية عن المجال الانفعالي. وقد أشارت روث ليز إلى أن الانقسام الدلالي بين الانفعال والعاطفة يكرر الثنائية نفسها، ثنائية "العقل - الجسد" التي تؤثر في المنظرين الذين يدعون رغبتهم في تفكيكها<sup>(24)</sup>. أنفق مع نقد ليز، لكنني أعتقد أن المبالغة في تأكيد هذه النقطة تغفل قيمة المداخلة التي يطرحها منظرو الانفعال ومفادها أن المعرفة تتجسد بطرائق لا يمكن استيعابها كلياً بوساطة المفاهيم التقليدية حول التفكير والدماغ<sup>(25)</sup>. وعدا ذلك، فإن القدرة على التمييز بين الانفعال والعاطفة لها قيمة استكشافية، من حيث إنها تخلق مساحة لتحليل أدق للسلوك السياسي، إضافة إلى لفت الانتباه إلى مواقع جديدة للسجال السياسي.

وعلى الرغم من الصعوبة التي تلازم دراسة كيفية ارتباط شيء ما، هو على حافة الفكر الواعي، بالعالم السياسي، فإن علم الأحياء وعلم الأعصاب يوفران أدوات متطورة لفهم ردود الفعل النفسية - الفيسيولوجية على المحفّزات تتيح لنا البدء في فك تشابكات الانفعال، وكذلك العاطفة. زد على ذلك أنه إضافة إلى تعزيز الخيارات التحليلية، ثمة رهانات تخص العدالة الاجتماعية تتضمنها مساعي دراسة

(22) Brian Massumi, *Parables for the Virtual: Movement, Affect, Sensation* (Durham: Duke University Press, 2002), p. 28.

(23) Simon Thompson & Paul Hoggett, *Politics and the Emotions: The Affective Turn in Contemporary Political Studies* (New York: Continuum Publishing, 2012), pp. 2-3.

مسألة إن كانت العاطفة تتكون من عنصر مادي هي مسألة قديمة. جادلت نظرية العاطفة لوليم جيمس وكارل لانغ في عام 1884 بأنه يجب فهم العواطف باعتبارها ناشئة عن الإثارة الفيسيولوجية. وفي عام 1927 جادل والتر كانون وفيليب بارد عكس ذلك، زاعمين أن العواطف هي التي تثير ردود فعل فيسيولوجية. وللإطلاع على نظرة إجمالية إلى نظرية جيمس ولانغ في العواطف، ينظر:

Joseph Palencik, "William James and the Psychology of Emotion: From 1884 to the Present," *Transactions of the Charles S. Pierce Society*, vol. 43, no. 4 (2007), pp. 869-786.

وللاطلاع على نظرة إجمالية إلى نظرية كانون-بارد، ينظر:

Larry E. Sullivan (ed.), "Cannon-Bard Theory," *The Sage Glossary of the Social and Behavioral Sciences* (Los Angeles/ London/ New Delhi/ Singapore: Sage Publications, Inc., 2009).

(24) Ruth Leys, "The Turn to Affect: A Critique," *Critical Inquiry*, vol. 37, no. 3 (2011), pp. 436-438.

(25) لهذا أهمية خاصة في الدراسات التي تتعامل مع "الاختبار العقلاني"، لأنه يقع في صميم كيفية بناء العقلانية.

الانفعال مجالاً متميزاً: ففي توثيق وإشراك التجارب العاطفية والحسية التي تتجاوز النصوص، قد نزيل طبقة من التمثيل ونخلق فرصاً للناس تتيح لهم تبادل خبراتهم "مباشرة"<sup>(26)</sup>.

وفي سياق الانشطار الثاني، يختلف الباحثون في دور العاطفة في العلم السياسي في مدى عمق تنظيمهم للانفعال، ومدى اشتراكهم في هذا النقاش. ويُسقط معظمهم الفرق بين الانفعال والعاطفة ويتعاملون معهما بصفتهما مترادفين أو يستخدمون طرائق أخرى لتحليل العاطفة وتشريحها<sup>(27)</sup>، ويتجاهل بعضهم المضامين الجسدية تماماً<sup>(28)</sup>. ومن بين هؤلاء الباحثين، يتعامل جوناثان ميرسر مع الصفات المتجسدة للعاطفة على نحو صريح، لكنه لا يدرج تلك الصفات في باب الانفعالات. كتب ميرسر في الدفاع عن بروز "المعتقدات العاطفية" في العلاقات الدولية وإثبات أن الإدراك والعاطفة لا يمكن تمييزهما تقريباً في الدماغ: العاطفة ليست بالضرورة ما بعد إدراكية. يستطيع الناس تجربة المشاعر من دون دراية واعية ومن دون وساطة الإدراك. فالشخص الذي لا يستطيع الشعور بجسده (بسبب الشلل، على سبيل المثال) يكون لديه طيف عاطفي ضيق: كلما زاد الشلل، وهنت المشاعر. يعرف علماء النفس أن حركة الوجه وحدها يمكن أن تحدث تغييرات صغيرة في المشاعر الذاتية. وبصفة عامة، يكون الناس أكثر عدوانية في الطقس الحار. إن الجسد هو الذي يولّد هذه المشاعر وليس الإدراك<sup>(29)</sup>.

ولذلك، يتشبث ميرسر بالظواهر التي يصنفها ماسومي في باب الانفعال، لكنه يتخطى تمييز العاطفة من الانفعال دلاليًا<sup>(30)</sup>. وينظر عالم الاجتماع جيمس غاسبر أيضاً في موضوع دور الجسد عند الكتابة عن المشاعر في الاحتجاجات الاجتماعية، ويقدم المصطلح المربك "عملية التفكير- الشاعر" سعياً منه لالتقاط التأزر والتلازم بين العمليات الجسدية والتصورات العقلية، وتقويض النزعات التي اعتادت

(26) Walter Gershon, "Vibrational Affect: Sound Theory and Practice in Qualitative Research," *Cultural Studies Critical Methodologies*, vol. 13, no. 4 (2013), p. 259.

(27) ينظر على سبيل المثال:

Benski Tova & Lauren Langman, "The Effects of Affects: The Place of Emotions in the Mobilizations of 2011," *Current Sociology*, vol. 61, no. 4 (2013), pp. 525-540; Wendy Pearlman, "Emotions and the Microfoundations of the Arab Uprisings," *Perspectives on Politics* 11, no. 2 (2014), pp. 387-409.

(28) ينظر على سبيل المثال:

Lauren Young, "The Psychology of State Repression: Fear and Dissent Decisions in Zimbabwe," *American Political Science Review*, vol. 113, no. 1 (2019), pp. 140-155; Shanto Iyengar et al., "The Origins and Consequences of Affective Polarization in the United States," *Annual Review of Political Science*, vol. 22 (2019), pp. 129-146; Shanto Iyengar, Gaurav Sood & Yphtach Lelkes, "Affect, Not Ideology: A Social Identity Perspective on Polarization," *Public Opinion Quarterly*, vol. 76, no. 3 (2012), pp. 405-431; Martijn van Zomeren & Winnifred Louis, "Culture Meets Collective Action: Exciting Synergies and Some Lessons to Learn for the Future," *Group Processes and Intergroup Relations*, vol. 20, no. 3 (2017), pp. 277-284.

(29) Jonathan Mercer, "Emotional Beliefs," *International Organization*, vol. 64 (2010), p. 4.

(30) في إحدى مقالاته الأخيرة، يجادل ميرسر بأنه يمكن إرجاع العاطفة سببياً إلى الجسد (لأنه لا شيء آخر غير الجسد يمكن أن يسبب العاطفة)، لكن لا يمكن إرجاعها أنطولوجياً إلى الجسد.

Jonathan Mercer, "Feeling Like a State: Social Emotion and Identity," *International Theory*, vol. 6, no. 3 (2014), pp. 518-519.

التفريق بين التفكير والمشاعر<sup>(31)</sup>. وحين يرفض غاسبر "الانفعال" يبتكر بديلاً يتمثل في تصنيف للمشاعر يمكن فهمه بأنه يضع العاطفة والانفعال على مقياس متدرج يبدأ بـ "العواطف الارتكاسية" و"المُحَثَّات"، وينتهي بـ "العواطف الأخلاقية" بناءً على مبادئ مشكّلة اجتماعياً<sup>(32)</sup>. ومن بين المصطلحات التي ظهرت لاستيعاب العملية التأسيسية المشتركة التي يوُلِّد من خلالها الجسد والعقل المعرفة (مفهومة، وفق ميرسر، بأنها عاطفية وعقلانية في الوقت نفسه)، أفضل وأستعمل مصطلح "الإدراك المتجسد" الذي ظهر في حقول علم النفس وعلم الأعصاب، والفلسفة، وذلك لأناقته الدلالية وإيجازه<sup>(33)</sup>. وأحافظ في تحليلي اللاحق على التمييز بين الانفعال والعاطفة لأغراض استكشافية وأستعمل المصطلحين بحرص لتأكيد أهمية تمايزهما. ومع ذلك، أنا لا أفهم الانفعال على أنه منفصل عن العاطفة أو مواز أو غير مساو لها أو لضروب أخرى من الإدراك المستند إلى اللغة. وعندما يتداخلان في الأمثلة التجريبية اللاحقة، أستخدم مصطلح "الإدراك المتجسد" ليشمل كلاً من الانفعال والعاطفة. تُسَخَّر في العالم التجريبي القدرة الإكراهية/ الإقناعية للصوت على المستويين الانفعالي والعاطفي معاً، خدمة لمشاريع سياسية متنوعة. ويعد تحليل طرائق استغلال الصوت خطوة مهمة في فهم الأسس الجزئية لممارسة الحكم.

وتتطلب قضية نظرية ثانية بعض الاستفاضة، ولا سيما فيما يخص البحوث التي تعوّل على الإدراك المتجسد لتعزيز فهم المجالين الاجتماعي والسياسي. تتعلق القضية بالمناقشات بشأن السؤال التالي: أيكون الإدراك المتجسد فردياً دائماً أم يمكن تجربته جماعياً؟ وبتعبير آخر، تكون التأثيرات السياسية لحالة عاطفية معيّنة أم رد فعل عاطفي معيّن قابلة للقياس؟<sup>(34)</sup> يعبر جون بروتي، أحد منظري الانفعال،

(31) James M. Jasper, *The Emotions of Protest* (Chicago: Chicago University Press, 2018), p. xi.

(32) Ibid., p. 4.

يمكن بسهولة العثور على أمثلة أخرى عن الدراسات التي تتجاهل الانفعال لمصلحة مصطلح بديل أو صياغة بديلة، ولكن لا يمكن تناولها هنا لأسباب تتعلق بالبحر المتاح. ومع ذلك، فإن توصيف روز ماكديرموت يستحق الذكر لأنه حصيلة مقارنة غير عادية. ففي "المقاربة الجسدية" التي تتبناها في دراسة العاطفة، تجادل ماكديرموت بالحاجة إلى التركيز على الدور الذي يؤديه "التباين العاطفي القائم على السمات في النتائج والتفضيلات السياسية"؛ بالنظر إلى أن الناس يولدون أو يتطورون بميول جينية وبيولوجية مختلفة تتدخل في اختبارهم هذه العاطفة أو تلك. وهذه مقارنة للإدراك المتجسد تناسب مع العمل الذي أُجري في دراسات الإعاقه. ينظر: Rose McDermott, "The Body Doesn't Lie: A Somatic Approach to the Study of Emotions in World Politics," *International Theory*, vol. 6, no. 3 (2014), p. 558.

(33) يمكن تتبع هذا الخط الفكري إلى إطار العمل الظاهراتي لدى موريس ميرلوبوتي وإرثه الفكري المستند إلى أعمال فرانتز برنتانو وإدموند هوسرل ومارتن هايدغر، لكن له أيضاً أصول في علم النفس تمثلها أعمال ج. ج. غيبسون وآخرين. ينظر:

James J. Gibson, *The Perception of the Visual World* (Oxford: Houghton Mifflin, 1950); James J. Gibson, *The Senses Considered as Perceptual Systems* (Boston: Houghton Mifflin, 1966); James J. Gibson, *The Ecological Approach to Visual Perception* (New York: Taylor and Francis, 1986).

(34) في العلوم السياسية، تذكّر إيما هاتشيسون ورولان بليكر بالحاجة إلى فهم العمليات الملموسة التي من خلالها تصبح المشاعر الفردية جماعية وسياسية؛ باعتبار أن هذا الأمر يمثل التحدي الرئيس الذي يواجهه الباحثون الذين يدرسون دور العواطف في العلاقات الدولية. إنهم يدافعون عن المقاربات الكلية التي تجد خصائص قابلة للتعميم حول سياسات العاطفة، إضافة إلى المناهج الدقيقة التي تبحث في كيفية اشتغال عواطف معينة في سياقات سياسية وثقافية محددة، مع الاهتمام بـ "الآليات" التي من خلالها تصبح العواطف مهمة اجتماعياً وسياسياً.

Emma Hutchison & Roland Bleiker, "Theorizing Emotions in World Politics," *International Theory*, vol. 6, no. 3 (2014), pp. 497-498.

عن هذين المنظورين المتباينين بصيغة "المنشق" و"الفرداني"، مشيرًا إلى أن القائلين بالانبثاق يفترضون ذاتًا جمعية هي في أساس العواطف الجمعية، في حين يفهم الفردانيون العاطفة المشتركة باعتبارها ليست أكثر من تجميع للعواطف المنفردة<sup>(35)</sup>. وعلى هذا النحو يفترض الباحثان نيتا كروفورد وجوناثان ميرسر أن المشاعر متجسدة في البيئات الاجتماعية، وأن الأنظمة العصبية قابلة للتكيف اجتماعيًا، وأنه يمكن معاينة المشاعر الجمعية على مستوى الجماعات والدول والمؤسسات. ومع ذلك، لا تخلو مواقفهما من الاختلافات. يجادل ميرسر بأن هوية الجماعة تستند إلى مقولات عاطفية مبنية اجتماعيًا وتؤثر في العواطف التي يختبرها أحدهم باعتباره فردًا<sup>(36)</sup>. وفي المقابل، تنظر كروفورد حول مأسسة المشاعر داخل الدول وفيما بينها؛ مثل مأسسة الخوف في الممارسات الأمنية الأميركية عقب هجمات 11 سبتمبر 2001<sup>(37)</sup>. ويعتمد باحثون آخرون على المدة، أو استمرارية حالة عاطفية معينة، طريقة لفهم تأثير العاطفة الجمعية. وتحدث ديورا غولد عن "الاعتقاد العاطفي" *Habitus* بوصفه طريقة لوصف الأنماط المستمرة التي تشكل المجموعات الاجتماعية وفعاليتها<sup>(38)</sup>. ويستند جيمس غاسبر، أيضًا، إلى مفهوم الزمانيّة، ويميز بين "ردود الفعل العاطفية" على المدى القريب و"التأثيرات الراسخة"، مقترحًا أن هذه الأخيرة أهم في تفسير الفعل السياسي. ربما تطول زمانية العاطفة السياسية؛ وقد لاحظت دراسة سابقة أجراها ريموند ويليامز أن المشاعر يمكن أن تتغلغل في مجتمع بأكمله على امتداد فترة طويلة من الزمن، وهي ظاهرة وصفها بأنها "بنية المشاعر" تتجلى في كل شيء؛ من التصميم المعماري والتخطيط الحضري إلى الفنون الجميلة والتفاعلات اليومية<sup>(39)</sup>.

يتماشى تحليلي لسياسة الشارع في الشرق الأوسط مع مقاربة ويليامز حول "بنية المشاعر"، ولذلك يقلل من أهمية التفاعلات النفسية الفردية للتركيز بدلاً من ذلك على قوة هازة خارجية وداخلية في آن واحد؛ تلك التي تبث الحيوية في الفضاء العام الخامل، حتى أثناء إعادة ترتيب الأجساد البيولوجية<sup>(40)</sup>. وأستخدم الصوت وحدة تحليلية لقدرته على تجسير الفجوة بين السجلات الدائرة حول ما إذا كانت المشاعر فردية دائمًا أم أنه يمكننا التحدث عن إدراك متجسد جمعي، وكذلك بين السجلات حول ما إذا كان يجب أن يكون المحل الأساسي للبحث هو الانفعال أم العاطفة. وبالتوافق مع المحفزات البيئية التي يدركها الجسد الحسي المتموضع في مكان، أعطي كلاً من المقاربات الكلية والجزئية

(35) John Protevi, "Political Emotion," in: Christian Von Scheve & Mikko Salmela (eds.), *Collective Emotions: Perspectives from Psychology, Philosophy, and Sociology* (Oxford: Oxford University Press, 2014), p. 326.

(36) Jonathan Mercer, "Feeling Like a State: Social Emotion and Identity," *International Theory*, vol. 6, no. 3 (2014), pp. 523-525.

(37) Neta Crawford, "Institutionalizing Passion in World Politics: Fear and Empathy," *International Theory*, vol. 6, no. 3 (2014), pp. 535-557.

(38) Deborah Gould, *Moving Politics: Affect, Emotions, and Shifting Political Horizons in the Fight Against Aids* (Chicago: Chicago University Press, 2009).

(39) Raymond Williams, *Marxism and Literature* (Cambridge: Cambridge University Press, 1977).

(40) بالتركيز على الجو المحيط، أبنى ما قد يسميه بروتي في نموذجًا "طبيعيًا" أو "ماديًا" للعواطف السياسية الجماعية. Protevi, "Political Emotion," p. 328.

وأقترح أن المدخلات الحسية قد تمثل موقعًا يمكن بوساطته صياغة تعميمات بشأن سياسة الإدراك المتجسد، حتى مع أنني، كما في القسم التجريبي الذي يلي، ألفت الانتباه إلى كيفية حدوث هذه المعاملات في أوضاع سياسية مخصوصة.

## الصوت والإدراك المتجسد: الانتفاضات العربية

ذكرنا، من قبل، أن الباحثين عبر مختلف التخصصات أكدوا أهمية العواطف في الانتفاضات العربية، مجالين بقدرتها على التأثير في صنع القرار وإحداث نتائج سياسية. ولكن، كيف تتولد هذه العواطف في المقام الأول؟ وما الدور الذي تؤديه البيئة المحيطة في هذه المعادلة؟ وكيف "تنتقل" هذه العاطفة الفردية إلى الجماعة؟ ذلك على غرار سؤالتي بتلر: ما الذي يُسند الأجساد في الشارع؟ وما شروط دوامها وقدرتها؟<sup>(41)</sup> يستمد هذا القسم أمثلة من احتجاجات الشوارع في الانتفاضات العربية لإظهار الآليات الصوتية والمحفزات الحسية التي تكمن وراء الإدراك المتجسد وتشكيل نتائج سياسية محددة. ومع أن الإدراك المتجسد غالبًا ما يتم تخيله على أنه يتبلور في أثر التفاعل النفسي، فإنه يمتد إلى المجالين المادي والنفسي؛ وبذلك يتنقل بين الأفراد والجماعات<sup>(42)</sup>. يمكن أن ينتشر الإدراك المتجسد عبر الخبرات الجسدية والأحاسيس المشتركة - تلك التجارب التي تُؤطر أنماط الوجود - في العالم. وفي هذا الصدد، تمثل البيئة الصوتية المحيطة وسيطًا يتم بوساطته إنتاج المعرفة العاطفية - العقلانية الحسية المتعلقة بالاحتجاج السياسي. وفي سياق فهم كيفية اشتغال المجال السمعي ضمن هذا الحِواء، أدرج الأدلة في ثلاث فئات من النتائج السياسية المترابطة: 1. الأصوات التي تخفف من الاختلاف المادي، وتعمل على إحداث تحولات في الجموع أثناء العملية؛ 2. الأصوات التي تحفز أو تحبط أو تسبب التعاطف بطرائق تؤدي إلى تغيير المواقف تجاه الأوضاع المباشرة؛ 3. الأصوات التي تُنشئ أطرًا معرفية مشتركة إما عن طريق الاستفادة من الذاكرة الجماعية وإما من خلال الانتشار عبر الثقافات والجماعات بوساطة قنوات الإعلام العالمية. وتعمق هذه العوامل معًا فهم سياسة الشارع وتقنيات التحكم والضبط التي تُؤطر البيئة الحسية.

## تأكل الفروق المادية وإعادة صوغ الجموع

يجادل هنري لوفيفر بأنه "كي يحدث تغيير، يجب أن تتدخل جماعة اجتماعية، طبقة أو كاست، من خلال طبع إيقاع لها في حقبة ما، سواء أكان ذلك بالقوة أو بأسلوب الانتشار المتدرج"<sup>(43)</sup>. ففي

(41) Butler, "Bodies in Alliance."

(42) لا أقترح بهذا أن الأفراد جميعًا يفسرون المحفزات على نحو متماثل؛ ببساطة إنهم في تموقعهم المشترك يتعرضون لنسخ من المحفزات نفسها، ومن المرجح أن يتشاركوا في إطار عمل يمكنهم من خلاله فهم هذه المدخلات.

(43) Henri Lefebvre, *The Production of Space* (Malden: Blackwell Publishing 2004), p. 14.

يمكن قراءة هذه الفكرة على نحو مثير بالتوازي مع دعوى تشارلز تيلي القائلة إن القدرة القسرية للحكومة تراجع "عندما تتغير بسرعة شخصية السكان المعرضين للسيطرة وتنظيمهم وروتينهم اليومي".

Charles Tilly, "Does Modernization Breed Revolution?" *Comparative Politics*, vol. 5 (1973), pp. 425-447.

احتجاجات الشوارع والحركات الاجتماعية، يتخذ طبع الإيقاعات غالبًا شكل الشعارات الهادئة، أو القوافي القصيرة المتكررة. لقد صدحت حناجر المتظاهرين من تونس إلى البحرين مرددة فعل الأمر "ارحل" الذي يحث القادة السلطويين على "المغادرة" أو "الخروج"، واختلفت مع مجموعة متنوعة من الأغاني والشعارات والأناشيد والنداءات التي برزت على مدار الاحتجاجات. ثمة شريط مصور على موقع "يوتيوب" لمتظاهرين في حماة، بسورية، منذ المراحل الأولى من الحرب الأهلية السورية، يبين طاقة الإيقاع وجهارته ووتيرته التي ميّزت المظاهرات المناهضة للأسد في تلك المحافظة الشمالية، ويعرض الشريط عناصر عامة من تجربة الاحتجاج تتجاوز السياق الجزئي. يصور فيديو "الدبكة الثورية السورية"، حشدًا من المتظاهرين المناهضين للنظام متجمعين بعد حلول الظلام في ساحة عامة<sup>(44)</sup>. تصطف الأجساد معًا بإحكام، ووجوه الأفراد غير مرئية بوضوح، وكذلك الرجل الذي يقود الحشد صائحًا بنشيدٍ حماسي مستفز يرافقه دق الطبول<sup>(45)</sup>. وبدلًا من الصور المرئية الواضحة، تبرز الإسهامات الصوتية - الحركية لنشاط اجتماعي يحدث وجهًا لوجه ويشارك فيه كل فرد في الإطار. يبين طابع الابتهاج ووتيرة وإيقاع النشيد الحالة المزاجية وترتب الفضاء مركزياً بحسب نداء المغني، حتى عندما توفر جهازة الصوت ورجعه أدلة حول حجم الحشد والمعالم المادية للفضاء الصوتي / السمعي. النشيد مرتّب في نمط من النداء - الرد، ويتتابع أحد المقاطع على النحو التالي:

شرعيتك سقطت عنّا

يا لله ارحل يا بشار

يا لله ارحل يا بشار

يا لله ارحل يا بشار

ويا بشار ويا كذاب

تضرب إنت وها الخطاب

الحرية صارت ع الباب

يا لله ارحل يا بشار

يا لله ارحل يا بشار

(44) "Syrian Revolutionary Dabke," YouTube, 3/7/2011, accessed on 14/1/2022, at: <https://bit.ly/3Fr40kH>

(45) تنطوي هوية المغني على قصة معقدة ومتنازع عليها تعزز الأهمية الرمزية والمجازية للصوت والتعبير الصوتي في السياسة. حينما انتشر الفيديو بسرعة في عام 2011، عُرف المغني إبراهيم القاشوش. وسرعان ما أكسبت دينامية الأغنية وشعبيتها القاشوش لقب "عندليب الثورة"، وهو لقب لم يحظَ بالانتشار والشعبية إلا بعد أسبوع من إعلان الصحفيين عن العثور على القاشوش مقتولاً "وقد اقتلعت حباله الصوتية" وألقيت جثته في نهر العاصي، وهي رسالة لإسكات المحتجين المناهضين للنظام. وفي عام 2016، نشر المراسل الاستقصائي جيمس هاركين قصة مفادها أن القاشوش على قيد الحياة وأن القوى الموالية للثورة استفادت من مقتل شخص آخر لإثارة التعاطف العالمي مع الثورة. للاطلاع على المعلومات الأساسية، ينظر:

James Harkin, "The Incredible Story Behind the Syrian Protest Singer Everyone Thought Was Dead," *GQ*, 7/12/2016, accessed on 14/1/2022, at: <https://bit.ly/33c3oCM>

تبرز بعض العناصر الإيقاعية التي تحظى بأهمية بالنسبة إلى الطريقة التي يوَدُّ بها الصوتُ الانفعالَ في هذا الترتيب. يتكون النشيد كلاً تقريباً من قوافٍ قصيرة متكررة. وربما تُضجر هذه الأسطر المكتوبة على الصفحة القارئ، غير أن الصيغة المتكررة كثيراً في سياق سياسة الشارع تتيح لأشخاص كثيرين من مختلف الخلفيات والمؤهلات الموسيقية الانضمام بتكاليف محدودة اجتماعياً أو زمنياً<sup>(46)</sup>. وفي اللغة العربية، إيقاعات السطور الأطول، التي تسرد المآخذ على بشار الأسد، تتبع على نحوٍ مُطمئن قفلة وثابة ومُنظمة جيداً تمنح اللازمة التي يرددها الحشد هيكلاً. يوفر فهم التوافق البسيط للإيقاع وثباته نوعاً معيناً من الأمان والثقة، ومن ثم يمكن أن يشعر المشاركون بالأمان وهم يصرخون فردياً، لأنهم يعرفون الأصوات التي قد يتوقعونها من المجموعة وكذلك متى يتوقعونها. وهكذا، فإن الشعور بالأمان والقدرة ينبع من الاندراج الفردي في مجموعة أكبر<sup>(47)</sup>. وقد تبين أن الحركة الجماعية المتزامنة، كما في المسيرات والغناء والرقص، تُضعف الحواجز النفسية بين الذات والجماعة، وهو ما يتيح التماهي مع الآخرين؛ وقد اكتشف علماء النفس السلوكي أن العمل المتزامن يمكن الجماعات من "التخفيف من أثر مشكلة التهرب من التكلفة Free-rider Problem، والتنسيق الناجح عند المبادرة بأفعال اجتماعية قد تكون باهظة التكلفة"<sup>(48)</sup>. يكفي أن نفكر في الصيحات المنعّمة التي يرددها الرقيب في التدريبات العسكرية الأساسية، أو الألحان التي رافقت تاريخياً الأشغال الشاقة؛ مثل قطف القطن في مزارع العبيد، أو استخراج الفحم، أو إرساء عوارض السكك الحديدية، أو التجذيف في البحر. ففي مثل هذه الحالات، تتم هندسة الانتماء الانفعالي من خلال المشاركة الصوتية بغية جمع الناس معاً وتوحيد هدفهم بوساطة إرساء بصمة القوة والأداء.

تحدث "المعّية العضلية" Muscular bonding<sup>(49)</sup> أو التزامن الجسدي الذي يقوّي الأواصر بين المتظاهرين في الشوارع، على مستويات مختلفة. يصدر الصوت من الفرد وكأنه رسالة متولدة بيولوجياً - مجاز مرسل عن الذات - تطلب الانضمام والاندماج في وئام مع الآخرين من حوله. ومن ثم، فإن التعبير الصوتي الجماعي يصدح حرفياً بذاتية جديدة تنبثق في الوجود؛ ذات تركز، خلال فترة وجيزة من الزمن، على هدف مشترك غير مدفوع بالطبقة أو الدين أو الأيديولوجيا السياسية<sup>(50)</sup>.

(46) Thomas Turino, *Music as Social Life: The Politics of Participation* (Chicago: University of Chicago Press, 2008), p. 40.

(47) يتعلق التحليل هنا ببلية معينة في مدينة حماة السورية، لكن الآليات المتبعة قابلة للتعميم عبر الزمان والمكان. إنّ الفيديو الموسيقي الذي أعده عمر أفندم، والذي أصبح هو نفسه أيقونة موسيقية خلال الانتفاضات، يكشف عن سلوكيات مماثلة حول هتاف "الشعب يريد إسقاط النظام". ينظر:

Omar Offendum, "#SYRIA," Facebook, 3/4/2012, accessed on 14/1/2022, at: <https://bit.ly/3tojjpz>; <https://bit.ly/3zVY6XT>

(48) Scott Wiltermuth & Chip Heath, "Synchrony and Cooperation," *Psychological Science*, vol. 20, no. 1 (2009), p. 5.

(49) William H. McNeill, *Keeping Together in Time: Dance and Drill in Human History* (Cambridge: Harvard University Press, 1997).

(50) يُعتقد أن التزامن الجسدي يُنتج تآكلاً جماعياً يضعف الحدود بين الذات والآخرين. ينظر على سبيل المثال:

Barbara Ehrenreich, *Dancing in the Streets: A History of Collective Joy* (New York: Metropolitan Books/ Henry Holt and Co., 2006).

في المقابل، أجرى ويلترموت وهيث تجارب لتقدير درجة التزامن الجسدي المطلوبة لحث الرابطة الجماعية، محاجاً بأن المعّية العضلية قد لا تكون شرطاً مسبقاً للتعاون. Wiltermuth & Heath, p. 5.

تتسامى الفردانية مؤقتًا حين يركز الناس انتباههم، بعضهم تجاه بعضهم الآخر، لإدراك الإشارات المرتبطة بتواتر الاستجابة الانفعالية - العاطفية وحجمها وطاقتها. هذه الفعاليات المتمثلة في الغناء، والهتاف، والصراخ في تناغم تام، تصل إلى حد تنظيم التنفس الجماعي، وتحدث في مئات وأحيانًا آلاف الأجساد يقظة جسدية وتقديرًا متبادلًا. وهكذا، فإن الحواجز والواسمات المادية التي تفصل بين المشاركين، بل حتى الانقسامات بين المنادي والمستجيب، تتضاءل وتُجرح المسارات المادية للإدراك المتجسد المشترك<sup>(51)</sup>.

إذا افترضنا أن الأجواء الجماعية منتشرة انتشارًا كافيًا، فإنّ هذا التعايش يمكن أن يحدث على الرغم من أن نشاطات المشاركين قد تتنوع؛ فبعضهم يغني، وبعضهم يرقص أو يتحدث، وآخرون يعزفون على آلات موسيقية. لذلك، على الرغم من أن بعض المتظاهرين في حماة هزوا قبضاتهم بالتزامن مع الهتافات بينما وقف الآخرون ساكنين وقاموا بالتصوير بهواتفهم المحمولة، فإن التأثيرات الفسيولوجية ومشاعر الانتماء والوحدة الاجتماعية المصاحبة تكون متماثلة بين الأفراد. يعتمد مفهوم "الجدب التزامني" Entrainment، المؤلف لدى علماء الموسيقى الحيوية، على آليات تخص الذبذبات الداخلية؛ مثل التنفس، وإيقاع ضربات القلب التي تتناغم مع الإشارات من البيئة المحيطة وتتيح لنا بناء توقعات بشأن توقيت الحوادث المستقبلية [...] والتفاعل بكفاءة مع البيئة<sup>(52)</sup>. وعلى هذا النحو، تؤثر الاهتزازات الصوتية في الأجساد المهتزة في توقيت ملائم لتوليد اتصال عميق الإحساس، أو إدراك جماعي متجسد، يفعل اصطفايات وتفاهمات سياسية جديدة. ومع أن الهتاف يفرض نفسه على الأجساد المادية الحاضرة، فإنّ البشر، بعد كل ذلك، ليسوا مجهزين بـ "غطاء للأذن" - لكنه لا يكون قسريًا تمامًا في تأثيره. إنه يؤثر في الأجساد المادية بطرائق تؤهلها للوحدة والتعاون والتماهي مع ما حولها، لكن هذا لا يتجاوز حتمًا البئر العميقة للبصيرة التي يتيحها الفكر الواعي. انفجر الأفراد في حماة بصيحات الابتهاج حين ترديد الاتهامات اللاذعة خاصة، حيث كانت الوخزة السياسية تنتشر مثل اختلاج بين الجمهور في اللحظة نفسها التي يؤدي بها قرع الطبول إلى تسريع وتيرة الأغنية.

إنّ قدرة الصوت على حث الاختلاف المادي بين الأجساد - إضافة إلى تمكينه العدوى الانفعالية وإمكانية تأطير الإدراك المتجسد - لها أيضًا فائدة بصفتها آلية ترتيب وتنظيم عملانية في سياقات الحركة الاجتماعية. وكما يجب أن يكون واضحًا مما ذكرناه سابقًا، فإن الخطب والشعارات والشعر والغناء لا تنحصر قيمتها في محتواها الدلالي، بل إنّ جهازتها وإيقاعها يحددان الوتيرة الزمنية والترتيب المكاني للمسيرة، ويفصلان المتظاهرين عن المتفرجين، أو يميزان ما بين نشاطات متنوعة في فضاءات ضخمة مثل ميدان التحرير. يقول مارك ليفين: "إنّ سرعة المسيرة وانسيابها في ميدان التحرير أو في شارع الحبيب بورقيبة، أو حول دوار اللؤلؤة في المنامة تقررهما الأشعار التي تُردّد"<sup>(53)</sup>. ولعلنا نفهم

(51) Turino, pp. 40-43.

(52) Jon Bispham, "Rhythm in Music: What is it? Who Has It? And Why?" *Music Perception*, vol. 24, no. 2 (2006), p. 128.

(53) Mark Levine, "When Art Is the Weapon: Culture and Resistance Confronting Violence in the Post-Uprisings Arab World," in: John Esposito (ed.), *Religion and Violence* (Basel: MDPI, 2016), p. 29.



هذه الاستعانة بالأساليب التنظيمية العضوية - البيولوجية على أنها تقوي الجسد السياسي عبر مطلب الفعل والوجود، ويجب توقُّع ذلك أيضًا في الحالات التي يتجمع فيها عدد كبير من الناس في ظروف غير معتادة ويُجبرون على اجترار طرائق غير مكلفة وسريعة للتغلب على التحديات التنظيمية وقوانين النظام العام الموضوعة للحفاظ على أجواء الوضع الراهن.

على سبيل المثال، يؤدي استخدام تقنية "تضخيم الصوت البشري" إلى محاولات تكنولوجية لإغلاق مكبرات الصوت بواسطة التحكم في الوصول إلى منافذ الطاقة الكهربائية، أو بتطبيق قوانين النظام العام مثل تلك التي تحد من التلوث الضوضائي. أمّا في هذه التقنية، فإن المتحدث يقصر خطابه على "بايتات" (وحدات) صوتية قصيرة يكررها كل جزء من المتظاهرين؛ بحيث تكون داخل نطاق سمع الأذن، وتتعاقب وصولاً إلى الجزء الخلفي من الجمهور حتى تصل إلى سمع الجميع، ومن ثمّ يتجاوبون مع الرسالة<sup>(54)</sup>. ففي فيديو مصوّر للقاهرة، في 25 كانون الثاني/يناير، ظهر النداء "ارحل" وقد تمّ التقاطه في جزء واحد من الحشد، ثمّ تدقّق عبر الساحة مثل موجة سائلة من الطاقة<sup>(55)</sup>. امتد إنتاج الصوت أسلوباً للمشاركة أو رمزاً للتضامن إلى خارج الحشود والساحات العامة؛ ففي كل أنحاء المنطقة، رفعت درجة الصوت في أجهزة الراديو في المقاهي والأسواق إلى أعلى مستوى، وغالباً ما كانت السيارات تنضم إلى الحشود وتشجعها، حيث تمشي جنباً إلى جنب وتطلق أبواقها على سبيل الدعم<sup>(56)</sup>. ولم يكن من الضروري دائماً أن يكون شكل الاحتجاج الصوتي مسموعاً. لقد تبنى داعمو مجموعة/صفحة "كلنا خالد سعيد" الطقس الأسبوعي المتمثل في ارتداء الملابس السوداء والوقوف بصمت مهيب إحياء لذكرى وفاة خالد سعيد بطريقة وحشية وللتوعية بقضيتهم<sup>(57)</sup>. هنا، يؤدي الصمت المتجسد سياسته الحسية: إنه قويّ على وجه التحديد بسبب انقطاع الصوت الذي يفرضه الصمت في مشهد صوتي كان من شأنه أن يعج بالضوضاء.

وعلى هذا، فإن تتبع تداول الصوت واستغلاله يقدمان تفسيراً مادياً - بيولوجياً - نفسياً لكيفية انبثاق مشاعر الهوية الجماعية والتضامن، وهو الأمر الذي يميّز في سياق العملية المتظاهرين عن الآخرين. كتب بندكت أندرسون في كتابه الجماعات المتخيلة عام 1983 عن هذه التجربة الصوتية المتجسدة، وسكّ مصطلح "توافق الأصوات على طبقة واحدة" Unisonance، أو "صدى الواقع المادي لدى جماعة متخيلة للدولة

(54) لمزيد من التفاصيل عن "تضخيم الصوت البشري" في سياق حركة "احتلوا وول ستريت"، ينظر:

David Graeber, *The Democracy Project: A History. A Crisis. A Movement* (London: Allen Lane, 2013), p. 51.

(55) نذكر، على سبيل المثال، مقطع الفيديو هذا لميدان التحرير في 25 كانون الثاني/يناير 2011، والذي تمّ الوصول إليه من خلال أرشيف الجامعة الأميركية بالقاهرة على الإنترنت، ينظر:

"#Jan25 (2011-01-25) at Downtown, Cairo," 858.MA, accessed on 14/1/2022, at: <https://bit.ly/3GwS3eJ>

(56) Haroon Siddique, Paul Owen & Adam Gabbatt, "Protests in Egypt and Unrest in the Middle East—as It Happened," *The Guardian Newsblog*, 25/1/2011, accessed on 13/1/2022, at: <https://bit.ly/3nshdUf>

(57) للاطلاع على أمثلة لتغطية الفيديوهات لهذه الاحتجاجات الصامتة، ينظر:

"Standing Up for Said," YouTube, 26/6/2010, accessed on 13/1/2022, at: <https://bit.ly/3fmVc4L>; or "Silent Protest for Khalid Said," YouTube, 24/7/2010, accessed on 13/1/2022, at: <https://bit.ly/3fmzRZx>

القومية"<sup>(58)</sup>. يرى أندرسون أن الحوادث الصوتية - مثل الشعر المنطوق، والأغاني، وعلى وجه التحديد النشيد الوطني المضخم - التي تصل إلى قطاعات كبيرة من الناس في وقت واحد، تتيح "تجربة التزامن" لترتبط الناس بعضهم ببعض وتعزز الأواصر بينهم وبين بلدانهم. ولا تتطلب تجربة التزامن التي يصفها أندرسون مزيداً أيديولوجية كي ترسخ، بل يحدث توافق الأصوات على طبقة واحدة ضمن الجمهور سواء أكان المستمعون في صف المشروع السياسي أم لم يكونوا في صفه.

## استخدام الصوت في رفع الروح المعنوية أو إضعافها

يعمل الصوت وسيطاً يتم عبره محو الاختلافات مؤقتاً وتتجلى وتُمارس الهوية الجماعية والمشارع المشتركة، وإضافة إلى ذلك، تحظى الخصائص الجمالية للصوت بالقدرة على الإقناع، سواء على المستوى الانفعالي قبل الإدراكي أو على مستوى الأفضلية الفكرية. إن قدرة هذه القوة العاطفية على إثارة التفاعلات مهمة فيما يخص النتائج السياسية؛ إذ تزعم ويندي بيرلمان أن مشاعر الفرح والفخر والغضب جعلت الثورتين في تونس ومصر ممكنتين من خلال دفع الناس إلى الشوارع، في حين أن مشاعر الخوف والحزن والعار المتعلقة بالذكريات الصادمة المؤلمة لأعمال الشغب الواسعة الانتشار وفقدان الأرواح في عام 1988 "أوهنت إرادة التمرد" في الجزائر<sup>(59)</sup>. وإضافة إلى علاقة الصوت بالانفعال، كما هو موصوف آنفاً، يُنظر إليه على نطاق واسع على أنه يؤدي دوراً مبشراً في إنتاج العاطفة وتعديلها، قد يجري تسخيرها، على نحو متناقض، في خدمة الخوف والشجاعة.

يقترح مارك ليفين، بالإحالة على فالتر بنيامين، أن "هالة" الموسيقى - أي تفرداها وعدم إمكانية استبدالها - هي التي تضفي عليها قوة ملهمة كافية لحث الناس على المخاطرة بكل شيء في سبيل فرصة تغيير النظام جذرياً. ويجادل ليفين مفصلاً القول في ذلك بأن التداول الديمقراطي المعاصر

(58) Benedict Anderson, *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism* (New York: Verso, 1983), p. 145.

(59) Pearlman, p. 399.

لا يتضح من التفسير السببي الذي تقدمه بيرلمان ما إذا كانت تعتقد أن الجزائريين لم يكونوا قادرين على تنمية المشاعر الجريئة بصفة شخصية، الأمر الذي منعهم من النزول إلى الشوارع بأعداد ضخمة، أم أن المحتجين في الجزائر حين شاركوا في المظاهرات لم يتمكنوا من تكوين دينامية تضج بوساطتها مشاعر الفرح أو الفخر أو الغضب الجريئة. شهدت الجزائر تصاعداً في احتجاجات الشوارع في عامي 2010 و2011 ولوحظت أعداد ثابتة من الاحتجاجات السنوية حتى يومنا هذا؛ وفي عام 2019، تلاقت هذه الاحتجاجات في مظاهرات موحدة ساهمت في إطاحة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، لكنها فشلت في استئصال السلطة. ونظراً إلى ارتفاع عدد الاحتجاجات في الجزائر، فإن أخذ حجة بيرلمان على محمل الجد من شأنه أن يوحي أن ديناميات أجواء الاحتجاجات نفسها تختلف بحسب البلد؛ إذ ولدت الاحتجاجات العامة الجزائرية، بصورة عامة، حالة عاطفية مجبّطة وليست مشجعة، في حين أن الاحتجاجات في تونس ومصر ولدت مشاعر تغلبت على الخوف. وإذا كنتُ أميل إلى التركيز على العواطف باعتبارها أحد الأسس الجزيئية للانتفاضات العربية، فإنني أقل اقتناعاً بالتطبيق المجرد والمقارن لحجة بيرلمان على المستوى الكلي. وعلى الرغم من طابعها المرهق بصفاتها نظرية واسعة في دراسة العواطف والحركات الاجتماعية، أعتقد أن القدرة التحليلية للعواطف في دراسة السياسة تتطلب مقاربة أكثر دقة. يمكن الانطلاق على نحو مفيد من بحث روبرت ب. باركس حول أعمال الشغب الصغيرة، أو "الاحتجاجات" العفوية في الجزائر؛ إذ يعتبرها في منزلة عروض مسرحية عن العنف تقدم نظرة ناقبة للنظام بشأن مزاج السكان وكيفية التعامل معه، ينظر:

Robert P. Parks, "Voter Participation and Loud Claim Making in Algeria," *Middle East Report*, no. 281 (Winter 2016).

للموسيقى في الشرق الأوسط على الإنترنت - وخاصة موسيقى الراب والهيب هوب الجديدة - قد مكّن تلك "الهالة" من العودة إلى الموسيقى "مما أتاح لها الاتصال بالناس وتحريكهم بطرائق ضرورية ولازمة لتشجيع الفعل الثوري وتعزيزه"<sup>(60)</sup>. وبالمثل، تضع داليا وهدان الموسيقى الجديدة في صلب الثورة، زاعمة أن نشر الموسيقى الثورية عبر الإنترنت قد ألهم الثورة حيث ابتعد الموسيقيون عن قنوات التوزيع التجارية التقليدية، حتى لو أن الأغاني كانت لها صلة بالتجربة السياسية القمعية<sup>(61)</sup>.

صعد فنانون سلّم الشهرة من خلال دورهم في الانتفاضات العربية، ومن أشهرهم مغني الراب التونسي حمادة بن عمر، المعروف باسم "الجنرال"، والمطرب المصري رامي عصام. احتجت أغنية الراب التي غناها الجنرال عام 2010 بعنوان "ريس البلاد" على فساد الرئيس آنذاك زين العابدين بن علي، وبدا أنها تعبّر عن مشاعر الشباب في كل أنحاء العالم العربي الذين كانوا يدعون إلى حياة أفضل. تردد جوقة أغنية "ريس البلاد" اللازمة التالية التي تحكي عن تفشي الفساد والظلم:

ريس البلاد، شعبك مات

وبرشة عباد من الزبلة كلات

هاك تشوف آس قاعد صاير في البلاد

مآسي باردو والناس ما لقاتش وين تبات

هاني نحكي باسم الشعب

اللي انظلموا واللي انداسوا بالصباط<sup>(62)</sup>

بدأ الجنرال موسيقى الراب في عام 2008، منجذباً إلى ما اعتبره الإمكانيات الثورية لهذا النوع الفني، مع أن موسيقى الراب كانت لا تزال هامشية إلى حدّ ما في الموسيقى التونسية آنذاك. ومنذ البداية، تحدّث كلماته الحكومة التونسية وجهرت بمشاعر السخط والإذلال<sup>(63)</sup>. لم يُنح له وصول سهل إلى قنوات الإنتاج الرئيسية، ولذلك نشر موسيقاه عبر الإنترنت على فيسبوك ويوتيوب حيث حظي بالمتابعة.

(60) Levine, "When Art Is the Weapon," p. 19.

(61) Dalia Wahdan, "Singing the Revolt in Tahrir Square," p. 56.

(62) للاطلاع على الفيديو الأصلي، ينظر:

El General, "Rais Lebled," YouTube, 14/1/2014, accessed on 15/1/2022, at: <https://bit.ly/33ztkI7>

للاطلاع على ترجمة للفيديو بعنوان فرعية باللغة الإنكليزية، ينظر:

"Rais LeBled – El General music video with English subtitles," YouTube, 29/1/2011, accessed on 15/1/2022, at: <https://bit.ly/3IaB3eW>;

وللاطلاع على نسخة كاملة من الكلمات باللغتين العربية والإنكليزية، ينظر:

Sean O'Keefe, "Revolutionary Arab Rap: The Index," accessed on 15/1/2022, at: <https://bit.ly/3nwavg3>

(63) Vivienne Walt, "El General and the Rap Anthem of the Mideast Revolution," *Time*, 15/2/2011, accessed on 15/1/2022, at: <https://bit.ly/3Gxgo49>

وسرعان ما أخضعت وزارة الداخلية التونسية للمراقبة؛ فَمُنِعَ من الأداء العلني، ومنع في الإذاعة، ومُنِعَ من إصدار الأقراص المدمجة.

أطلقت أغنية "ريس البلاد" على الإنترنت في كانون الأول/ ديسمبر 2010، قبل فترة وجيزة من حادثة محمد البوعزيزي الصارخة التي أشعلت شرارة ثورة الياسمين. على هذا النحو، يمكن القول إنها استحوذت على الروح الشعبية الكامنة في الفعل الجماعي الذي سرعان ما تبعها. وبصفة عامة، يمكن فهم الثقافات الفرعية الموسيقية التي تعمل على هامش الرقابة في السياقات السلطوية على أنها قوى جمّعت الناس معًا من خلال الممارسات الحسية التي قوامها الاستماع والتعبير الصوتي<sup>(64)</sup>. لذلك، فإن موسيقى وأغاني الرباب والهييب هوب قبل الثورة، تلك التي عملت على توحيد مستمعين متنوعين عبر التقدير المشترك لنوع فني وخلق فضاء للمشاركة وتبادل الأفكار، ربما تُرى من حيث إنها كانت أساسية في انطلاق الحركات الاجتماعية التي تلت. إذا كانت أشكال بسيطة من التحدي والاحتجاجات الأولية ساهمت في تعزيز المشاعر بمرور الوقت<sup>(65)</sup>، فقد يكون لحضور جماعات على الأرض وعلى الإنترنت يربطها الذوق الموسيقي دورٌ محوري في تعريف هوية الجماعة والتغلب على الخوف بطرائق جعلت المقاومة الأوسع ممكنة<sup>(66)</sup>. فمع بدء المشاركة الشعبية، استحوذت "ريس لبلاد" وأغانٍ أخرى مماثلة مثل "ارحل" لرامي عصام، وأغنية "عمر أفندم #25 يناير مصر"، و"يلا ارحل يا بشار" للقاشوش، على مخيلة الآلاف، وباتت "أناشيد وطنية" غرست الشجاعة وهي تُنجز توحيد الجموع.

يختلف التضامن المستمد من ممارسات الاستماع المشترك عن الأثر الانفعالي الناجم عن الأناشيد في الهواء الطلق الموصوفة سابقًا (على الرغم من أن التزامن الجسدي قد يحدث في أوضاع الاستماع الجماعي للموسيقى أيضًا). إن هذا الشعور بالوحدة، الذي عُربل عبر مجموعة متنوعة من الأطر الثقافية والتقنيات الوسيطة، يمكن فهمه على نحو أفضل من جهة الاستجابة العاطفية. ولذلك كان عرضة لتأثيرات وتفسيرات لاحقة بطرائق لم تحظَ بها أكثر الأصوات مباشرةً وتحريضًا للانفعال؛ أصبحت موسيقى الرباب والهييب هوب الثورية أكثر إثارة للانقسام بعد عام 2011، لأن الموسيقى ارتبطت بسياسات معيّنة أو تبناها سياسيون معيّنون. وعندما أصبح المحتوى العاطفي للموسيقى متوافقًا مع منصات سياسية بوساطة سيرورات خطابية، اكتسب الصوت قدرة تفاعلية جديدة، متجاوزًا "مجرد" قدرته على الإلهام.

يأتي جزء مهم من قدرة الصوت على التشجيع من فعل التعبير الصوتي أو إصدار الضوضاء؛ سواء صدر رسميًا عن موسيقيّ، أو عفويًا وعشوائيًا عن محتج. سرد المتظاهرون في الإسكندرية أن رفع الأصوات جماعيًا كان له القدرة على وقف قمع الشرطة، وقالوا إن رجال الشرطة عند نقاط التفتيش لم

(64) وصف كريم بوزويطة الموسيقى بأنها "الأوفر حظًا" في التعبير عن روح الشعب.

Kerim Bouzouita, "Music of Dissent and Revolution," *Middle East Critique*, vol. 22, no. 3 (2013), p. 288.

(65) Pearlman, p. 393.

(66) للمزيد بشأن الكيفية التي سُوِّست بها الثقافات الموسيقية الفرعية في الشرق الأوسط، ينظر:

Levine, "When Art Is the Weapon," p. 18.

يهاجموا عندما كان الحشد يهتف مترنماً "سلمية، سلمية"<sup>(67)</sup>. يتجلى استخدام الصوت لحث الأجساد على المبادرة إلى الفعل في وصف منى الغباشي لحوادث مشابهة. فقد كتبت في وصف اقتراب شرطة مكافحة الشغب من حشد مؤلف من حوالي 600 متظاهر في التحرير: هروا المجندون ذوو الخوذات السوداء في المكان وأطلقوا المهمات الإيقاعية لجنود يندفعون إلى قتال عن قرب. وحينما صدر الأمر لهم، اندفع الجنود صوب الحشد. هتف المتظاهرون: "سلمية! سلمية!" وحثوا بعضهم بعضاً على اللاعنف وتثبيت أقدامهم بالأرض بينما تراجع القوات إلى مواقعها<sup>(68)</sup>.

تؤثر في الأفراد، أيضاً، القدرة التي تكون للصوت في إثارة نوع من المقاومة الشخصية من خلال إنشاء غلاف صوتي آمن. أحد المتظاهرين المصريين، الذي عانى نوبات هلع متقطعة منذ العنف العام في عام 2013، وجد أن العزف والتركيز على نغمة واحدة على كمانه خفف من قلقه: "حاولت التمسك بصوت واحد، صوتي أنا، وسط هذا الجحيم من الأصوات الخارجية [...] إنها طريقة للدخول في نشوة"<sup>(69)</sup>.

ومثل قدرة الصوت على التحفيز، فإن علاقته الوثيقة بطيف المشاعر المرتبطة بالخوف تحظى بالاستحسان أيضاً، بناءً على الفهم البيولوجي للحاجة التطورية المتعلقة بالدفاع عن النفس<sup>(70)</sup>. يمكن أن يؤدي الصوت، خاصة الصاخب أو غير المعروف، إلى إثارة استجابة القتال أو الهروب أو التجمد، مما يفضي إلى ارتفاع مستويات الأدرينالين في الجسم، وزيادة معدل ضربات القلب، واتساع حدقة العين. وفي بيئة الجماعة، قد يتم تكثيف رد الفعل هذا بسبب الطريقة التي يتفاعل بها البشر، بصفتهن كائنات اجتماعية، مع الإشارات الحركية لمن حولهم. على هذا النحو، حينما أحسّت الحشود في ميدان التحرير بإطلاق الرصاص، أو سمعت اقتراب شرطة مكافحة الشغب، فإن معرفة تلك الحشود بأن هذا الصوت يولّد حافزاً انتشرت فيما بينها كإدراك ملموس ومتجسد، حتى حينما فسّر الأفراد الأصوات وفقاً لسمااتهم الإدراكية الخاصة بهم. وتسلط هذه الأمثلة الضوء على الكيفية التي يشكّل بها الصوت جسراً بين الفرد والجماعة بطرائق تعدّ مهمة لفهم كيفية تأثير الإدراك المتجسد في المشاركة السياسية.

(67) Sara Hany, "It Is Just... The Beginning," in: Asaad Al Saleh (ed.), *Voices of the Arab Spring* (New York: Columbia University Press, 2015), p. 68.

وتحدثت منى الغباشي عن ظروف مشابهة، مستشهدة بالمتظاهرين الذين صرخوا في مواجهة تهديدات الشرطة: "اهتفّ اهتفّ عليّ الصوت اللي هيهتف مش هيموت!". ينظر: El Gobashy, pp. 7-8.

(68) El Gobashy.

(69) Quoted in: Darci Sprengel, "More Powerful than Politics": Affective Magic in the diy Musical Activism after Egypt's 2011 Revolution," *Popular Music*, vol. 38, no. 1 (2019), pp. 54-72.

تجادل سبرينغل بأن "تبجيل الصوت" يُعتقد (لدى بعض المصريين) أنه يكوّن شكلاً أكثر طوباوية من السياسة؛ بمعنى أن الأشخاص الذين يصدرون الصوت أو يشاركون في إنتاجه يعتبرونه وسيلة للتقليل من أثر السياسة الخطابية والأيدولوجيا والسجلات، التي يرون أنها غير بناءة بسبب الاستقطاب العميق أو الفساد أو غيرها من العوائق. وبدلاً من ذلك، يفهمون إنتاج الموسيقى وتجربتها على نحو مشترك باعتباره يمثل تحولاً سياسياً في حد ذاته حيث "يصبح" المستمعون النسخة الجديدة والمثالية للمواطنين السياسيين.

(70) للمزيد بشأن العلاقة بين الصوت والخوف، ينظر:

Steve Goodman, *Sonic Warfare: Sound, Affect, and the Ecology of Fear* (Cambridge: MIT Press, 2012).

## الصوت حافزاً لنشوء الأطر الإدراكية الجمعية

أريد أن أناقش بإيجاز طريقة أخيرة يعمل بها الصوت على توليد الإدراك المتجسد في سياق الانتفاضات العربية قبل وضع سياق لها من خلال أمثلة تاريخية لعمليات استخدام الصوت من أعلى إلى أدنى في خدمة سيطرة الدولة. وتتعلق هذه الوظيفة بالخصائص الاستذكارية للصوت، وقدرتها على إثارة الذكريات والمعاني الثقافية المشتركة التي تدفع الأفراد إلى تبني أطر إدراكية مشتركة. يكتب كريم بوزويطة عن تونس ويجادل بأنه يجب تأريخ بداية الثورة وإرجاعها إلى وقت أبكر - إلى الحركات اليسارية في الستينيات والسبعينيات - وبأن الموسيقى التحتية كانت في منزلة العربية التي حملت قيم المعارضة وصولاً إلى الانفجار في ثورات عام 2010<sup>(71)</sup>. تكمن قدرة الموسيقى على نقل القيم إلى الأمام عبر الزمن في الرسائل الدلالية التي تنقلها كلمات الأغاني، وتثير معها ذكرى الحوادث والدلالات والعواطف المحيطة بعصر معين، ولكن أيضاً في اللحن، الذي غالباً ما يُستذكر حتى بعد أن تُنسى كلمات الأغاني، ويمكنه أن يثير، أحياناً بقوة أكبر من الكلمات، المشاعر التي كانت لدى المرء عندما أصبحت الأغنية ذات مغزى أول مرة. وفي سياق المخيلة البصرية، أشار سيمون هوكينز إلى هذا النوع من مفعول انهيار الزمن Time-collapsing على أنه "اقتباس"، مفترضاً أن صور الشباب الذين رشقوا الحجارة في بواكير الانتفاضات كانت أيقونية بسبب الطريقة التي استرجعت بها صور الانتفاضة الفلسطينية<sup>(72)</sup>. ولذلك تثير الأغاني والصور وغيرها من طرائق استعادة الحوادث الماضية إطاراً ثقافياً لفهم الفعل السياسي المعاصر والمستقبلي؛ ما يسלט مزيداً من الضوء على كيفية "انتقال" الإدراك المتجسد من الوعي الفردي إلى الوعي الجمعي.

اكتسبت المطربة وردة الجزائرية شعبية وشهرة واسعة في الستينيات، حيث قدمت أغاني عن القمع الاستعماري، والوطنية الجزائرية، والديمقراطية. وحين وفاتها في عام 2012، دوت أغنية "الوطن الأكبر" وغيرها من الأغاني الشهيرة من عصرها في الساحات العامة والمقاهي وأجهزة الراديو عبر العالم العربي مرة أخرى، تماماً كما كانت قبل خمسين عاماً<sup>(73)</sup>. ربط المتظاهرون، بترديدهم هذه الأغاني وإحيائها والاحتفال بها، النضالات المعاصرة بإرث من التطلعات الديمقراطية، وضمّنوا الحوادث الجارية معاني ثقافية أقدم وأكثر رسوخاً حتى حين كانوا يسعون إلى اجترار أسس سياسية جديدة. بدأ المشاركون على دراية بعملية الاستذكار والتضمين هذه، ولم يتنازلوا عن قوتها في مقابل أغاني المشاهير. غنى أحد مدرّسي الثانوي المصريين أغنيتين للثورة ونشرهما على موقع يوتيوب؛ تلك كانت

(71) Bouzouita, p. 283.

توجد بالطبع دعاوى متنافسة عديدة بشأن الجذور الجماعية للثورة التونسية. جادل الباحثون في أهمية نوادي كرة القدم ومجموعات القراءة والفرق المسرحية وحركة النهضة والحركات الوطنية الأخرى، من بين عوامل عديدة غيرها.

(72) Hawkins, p. 36.

(73) Vivian Salama, "Algerian Singer Warda United the Arab World," *Newsweek*, 11/6/2012, accessed on 15/1/2022, at: <https://bit.ly/3tr8V2U>

ينظر أيضاً:

Nabila Ramdani, "Warda Gave Us a Soundtrack for the Arab Spring," *The Guardian*, 21/5/2012; "Songs of 'Algerian Rose' soundtrack to Arab Spring," *Sydney Morning Herald*, 31/5/2012, accessed on 15/1/2022, at: <https://bit.ly/3nva7hT>

طريقته للإسهام في بثّ الروح في الانتفاضة. لقد كان صريحًا بشأن أمله في أن تؤدي الأغاني إلى تفاهات مشتركة عبر الزمن، قائلاً: "أغنياتي] تدور حول شخص غير معروف، لكنك عندما تسمع - حين تُصغي إلى الأغنية - تعتقد أنك هذا [الشخص]. إنك أنت الشخص نفسه الذي كان حاضرًا هناك في ذلك الوقت. ربما يُصغي شخص آخر إلى الأغنية نفسها ويتذكر أنه كان الشخص نفسه أيضًا. لذا فالأغنية تذكرك بما حدث في ميدان التحرير في ذلك الوقت"<sup>(74)</sup>. يغدو فعل الإصغاء مرجعًا ثقافيًا يطوي الزمن، إلى حدّ أنّ الإصغاء نفسه، كما يؤكد المدرس، لا يتم فيه إحضار ذكرى ما حدث إلى العقل الواعي فحسب، بل إنّ المستمع يصير أيضًا الشخص الذي كان في ميدان التحرير وقت الثورة. يكشف بيان المدرس عن انهيار الذات الإدراكية والذات الأنطولوجية من خلال ممارسة الاستماع التي تحتضن الطريقة التي يدمج بها الصوت عنصري الانفعال والعاطفة في تفسيرات وتمثيلات العالم الاجتماعي - السياسي.

إن إعادة بث محتوى الوسائط الإعلامية العالمية، ونشر أصوات الانتفاضات العربية، تفضي بوساطة الذاكرة الاجتماعية إلى بعث أطر سيميائية مقبولة ثقافيًا، كما أنها تضمّن عبور الموسيقى والأناشيد ووصولها إلى مجتمعات لا تشترك بالضرورة في ذكريات جمعية أو ماضٍ مشترك. إنّ تشارك الموسيقى على الإنترنت لم يوحد الناس محليًا فقط، بل عبر الشرق الأوسط وخارجه أيضًا؛ وهو أمرٌ خلق فضاءً لتبادل الأفكار والنقاش في كيفية تفسير الحوادث اليومية المتغيرة واستذكارها على نحو ملائم. وإلى جانب الأغاني والأناشيد، جرى تداول ممارسات المقاومة وصور أخرى في كل أنحاء العالم ما إن اكتسبت احتجاجات الشوارع زخمًا. نشأ هتاف "الشعب يريد إسقاط النظام" في تونس، وسُجّل في شكل شريط مصور ورددته الجماهير في مصر وليبيا واليمن والبحرين والأردن وسورية<sup>(75)</sup>. وغالبًا ما كان المحتجون صريحين بشأن الروابط الانفعالية التي كانوا يشكلونها عبر الحدود الدولية، مستخدمين الهتافات والأناشيد لتأكيد التضامن<sup>(76)</sup>. شجعت حوادث تونس المصريين الذين نسخوا ونقّحو الهتافات التي سمعوها من جهة الغرب، وأطلقوا هتاف "ثورة حتى النصر!" "ثورة في تونس! ثورة في مصر!"<sup>(77)</sup>. وهذا الشعار يضرب بجذوره فيما قبل الانتفاضات العربية. إنه يرتبط بحركة المقاومة الفلسطينية وتحديداً بحركة فتح بقيادة ياسر عرفات. وبذلك كان المصريون أنفسهم "يقتبسون" شعارًا

(74) "22102012, Interview," Oral Histories, The American University in Cairo: Rare Books and Special Collections Digital Library, accessed on 15/1/2022, at: <https://bit.ly/3qsWNfM>

(75) ينظر على سبيل المثال:

Rashid Khalidi, "Reflections on the Revolution in Tunis and Egypt," *Foreign Policy*, 24/2/2011, accessed on 15/1/2022, at: <https://bit.ly/3GzR4uc>; "Thousands gather at Bahrain's Tahrir Square," *Channel 4 News*, 15/2/2011, accessed on 15/1/2022, at: <https://bit.ly/34TrmmF>; "Sa'ada Rallies Repeat: 'The People Want the Fall of the Regime'," *National Yemen*, 2011, accessed on 15/1/2022, at: <https://bit.ly/3Mqpldo>; Anne Barker, "Beirut Protestors Demand End to Sectarianism," *Australian Broadcast Corporation*, 6/3/2011, accessed on 15/1/2022, at: <https://ab.co/3207q0c>

(76) يتواصل انتشار الشعارات ومراكمة طبقات المعنى في مظاهرات الشوارع الجزائرية الجارية حاليًا والمجتمعة تحت اسم "ثورة الابتسامه" أو "الحراك".

(77) Randa Ali, "Egypt's Revolution Continues: One Chant at a Time," *Ahram Online*, 23/1/2012, accessed on 14/1/2022, at: <https://bit.ly/3rif4N>

فلسطينياً سابقاً<sup>(78)</sup>. وكما حدث من قبل، لم تقتصر المشاركة الصوتية على تداول المحتوى اللغوي. لقد أطلق المتظاهرون في احتجاجات حملة "طلعت ريحتكم"، في آب/ أغسطس 2015، التي اندلعت في ساحة الشهداء في بيروت، هتافهم "يلا انزل على الشارع" على إيقاعات أنغام "يلا ارحل يا بشار" للقاشوش، بأسلوب النداء أو الرد نفسه الموصوف آنفاً<sup>(79)</sup>.

سعى هذا القسم من الدراسة إلى توضيح كيفية توليد المجال السمعي للإدراك المتجسد، وأظهر اللحظات التي تدخل فيها المحتجون والمقاومون لتكوين بيئة تتوافق فيها الأجساد والعقول مع المشروع السياسي للمقاومة الشعبية والفعل الجماعي. اعتمد المتظاهرون على الحواس الجسدية والمجال السمعي لإنشاء حدود جماعية، من حيث الذاتية والفضاء المادي معاً: للتأثير "على نحو مباشر" في العواطف بطرائق تحفز وتمنح الشجاعة وتعمل على هندسة الآمال والمخاوف والمتعة والغضب؛ وحفز نشوء أطر إدراكية جماعية شجعت الأفراد على تفسير الحوادث السريعة المتلاحقة بطرائق تتوافق مع مفاهيم الثورة والظلم والمقاومة والمجد. تضاءلت في السنوات العشر منذ اندلاع الانتفاضات العديد من الآمال التي غذت احتجاجات الشوارع واسعة النطاق وأسقطت الأنظمة في تونس ومصر وليبيا، فقد فشلت الظروف الاقتصادية والسياسية للمواطنين العاديين في إصلاح السياسات الرسمية<sup>(80)</sup>. وتبين بقية الدراسة أن هندسة الجماهير وانفعالاتها هي في صلب ممارسات الدول القوية، ولا تقتصر على الأوقات الاستثنائية؛ إنها تشكل جزءاً لا يتجزأ من الممارسة اليومية للحكم.

## الأسس الجزئية لممارسة الحكم: الجهود من أعلى إلى أدنى لتنظيم الإدراك المتجسد

نظراً إلى سهولة إنتاج الصوت (حتى من دون الأدوات أو التكنولوجيا، فالأجساد البشرية يمكنها أن تولد الأصوات، سواء عبر الحنجرة والفم أو بوسائل أخرى، مثل التصفيق أو ضرب الأرض بالأقدام)، سيكون سيراً افتراضاً أن الأشكال الصائتة للمشاركة هي خاصة بأولئك الذين هم في أوضاع ضعف نسبية. لكن

(78) أنا ممتن لمراجع مجهول بخصوص الإشارة إلى هذا الأمر.

(79) الاستماع إلى الهتافين على التوالي هو الطريقة الأكثر فاعلية لاستيعاب هذه النقطة. يمكن مشاهدة لقطات فيديو لمتظاهرين لبنانيين وهم يهتفون، وقد نشرها أليكس رويل على الإنترنت:

"#YouStink chant to tune of 'Yalla Irhal Ya Bashar', Beirut, 29 August, 2015," Posted by Alex Rowell, 30/8/2015, at: <https://bit.ly/3hLwvQX>

نشأت احتجاجات "#طلعت ريحتكم" رداً على أزمة بلدية ناجمة عن إغلاق مكب نفايات إقليمي في الناعمة بالقرب من بيروت. أدى الإغلاق إلى تراكم القمامة في الشوارع. استخدم المتظاهرون الفرصة لتسليط الضوء على عجز الحكومة عن إيجاد حل. هذا الحدث مفيد أيضاً من حيث إنه يلفت الانتباه إلى الرائحة باعتبارها سجلاً حسياً مهماً آخر قد يتم تسييسه وقد يبدو من مزايا الإنتاج المتجسد للمعرفة. أعيد توظيف اللحن في سياقات عديدة، بما في ذلك لغايات موالية للنظام في سورية. للاطلاع على اللحن نفسه في أغنية "نحن رجالك يا بشار"، ينظر أغنية البوب في:

"Syria New Song-Rami Kazoor Nehna rejalak ya Bashar," YouTube, 2/6/2012, Posted by MyFilm-Speech, accessed on 14/1/2022, at: <https://bit.ly/3FwrXqM>

(80) هذا لا يعني أن المنطقة لم تتغير كلياً عقب الانتفاضات. إن جماعات المجتمع المدني التي تمحورت حول الاحتجاجات خلقت فضاءات سياسية جديدة وذات مغزى. أنا ممتن لرايسا تشوميياك Laryssa Chomiak لتأكيد ذلك.



التلاعب بالمجالين السمعي والحسي ليس ميدان الخاضعين حصرياً، حتى لو كان من المثير للدهشة أن نظر في جهود الدولة الهادفة إلى التنظيم العاطفي. قد تشير أهمية الجهارة - كما لاحظناها في العلاقة بين ارتفاع درجة الصوت وقوته/ سلطته - إلى أن الصوت مهم أساساً في الأماكن التي تسود فيها الحشود. ومع ذلك، سأحاول توضيح أن تطبيق الصوت لا يقتصر على التجربة الجماعية أو المشاهد السياسية<sup>(81)</sup>. إن الجهود من أعلى إلى أدنى الساعية إلى تنظيم الإدراك المتجسد وضبطه تمثل موضوعاً كبيراً في حد ذاتها. وفي هذا الحيز المحدود، أُلحح فحسب إلى هذه الموضوعات هنا في محاولة لوضع نماذج الأمثلة التي أوردناها من قبل في سياقها، وإشعار القارئ بمدى انتشار النماذج الصوتية لهندسة الانفعال.

تعي الجهات الفاعلة الحكومية والعسكرية الاحتمالات الكامنة في الفوضى، عندما يحتشد الناس بأعداد كبيرة في الأماكن العامة. تباينت الإحاطة النظرية باستجابات الدولة تجاه الفوضى العامة عبر الزمان والمكان، وتغيرت مع تطور المعايير والتقنيات. يتخذ بعض النخبويين خطوات لاستهداف العواطف والجسد الحسي بصفة صريحة سعياً لتحقيق نتائج معينة؛ ويهتم البعض الآخر في المقام الأول بالضبط المكاني، وتحويل ممارسة الحكم إلى ما يشبه التمرين على قيادة القطيع/ الجموع. وفي كلتا الحالتين، تتخذ الحكومات، على شاكلة الجزرالات في ساحة المعركة، خطوات لتغيير البيئة المحيطة أو تنظيمها وضبطها لمصلحتها. قد تكون هذه الخطوات شاملة ودائمة أو تكتيكية وعابرة، وهذا يعتمد على قدرة الدولة ووعي النخبة بهذا الشكل من ممارسة الحكم. وبمعنى آخر، قد يتم إضفاء الطابع المؤسسي على التحكم في استخدام الفضاء العام إما قانونياً وإما عبر تضمينه في البنى والمسارات الصوتية التي تشكل نسيج الحياة اليومية. وقد تكون الجهود المبذولة للسيطرة على البيئة الحضرية سريعة عابرة وظرفية، يتغير شكلها كلما ظهرت ضرورة سياسية لذلك. يعرض هذا القسم مخططات استُخدمت في حقبة الاستعمار من أجل هندسة الإدراك المتجسد في السكان المستهدفين عبر التحكم في المشهد الصوتي العام وضبطه. ويكشف النطاق التاريخي عن مدى انتشار هذا النمط المعين من السيطرة؛ سواء من حيث المدة باعتباره أحد الأسس الجزئية لممارسة الحكم، أو من حيث كونه طريقة يمكن تطبيقها في خدمة المقاومة.

في 13 نيسان/ أبريل 1937، وقّع حكام المقاطعات الثلاث في الجزائر قانوناً يحظر استخدام مكبرات الصوت في الشوارع العامة<sup>(82)</sup>، الأمر الذي ضاعف تأثير القوانين السابقة التي يرجع تاريخها إلى عامي 1929 و1935 وأصدرت حظراً عاماً على استخدام مكبرات الصوت لأغراض الإعلان أو الدعاية، فضلاً

(81) على الرغم من ذلك، فإن الأبحاث في المحاولات من أعلى إلى أدنى لتوليد حالات واستجابات عاطفية معينة بصفتها وسيلة للهيمنة أو السيطرة السياسية الحيوية كانت محدودة نسبياً. تشمل الاستثناءات البارزة:

Illan Rua Wall, "Policing Atmospheres: Crowds, Protests, and 'Atmotechnics'," *Theory, Culture & Society*, vol. 36, no. 4, (2019), pp. 143–162; Moshe Maor & James Gross, "Emotion Regulation by Emotional Entrepreneurs: Implications for Political Science and International Relations," Paper Presented at the 73<sup>rd</sup> Annual MPSA Conference, 2015, accessed on 14/1/2022, at: <https://bit.ly/3FwsPvy>

(82) ملاحظة على مصطلح "الشوارع العامة": تستخدم السجلات الإدارية الفرنسية مصطلح "la voie publique" الذي أترجمه بـ "شوارع عامة" و"فضاء عام"، اعتماداً على السياق. الكلمة الفرنسية "voie" تترجم حرفياً إلى طرق "ways" في اللغة الإنكليزية.

عن حظر التجمعات العامة<sup>(83)</sup>. وبواسطة هذا القانون المسالم نسبيًا، نظمت الحكومة الاستعمارية المجال الصوتي في المستعمرة بالتوافق مع التصورات الحضورية الفرنسية لما يعنيه "الضجيج"؛ ما أدى إلى إدراج المجالين السمعي والبصري للبيئة المبنية في هوية جمالية فرنسية متخيّلة. ولكن عبر السماح بمنح إعفاءات بقرار من حاكم المقاطعة، طبق المسؤولون أيضًا قوانين الضوضاء "المحايدة" على نحوٍ غير متساوٍ بغية السيطرة على ما اعتبروه عناصر تخريبية في المجتمع<sup>(84)</sup>.

كانت "المقاهي الشعبية المغاربية" أحد أماكن التجمع التي طُبِّقت فيها قوانين مكبرات الصوت هذه. وقد شكّلت هذه المقاهي عقدة فريدة في المشهد الصوتي الاستعماري الأوسع فيما يخص مراقبة ضروب معينة من الممارسات الصوتية. كانت هذه المقاهي، قبل انتشار امتلاك الراديو الخاص على نطاق واسع، مراكز مهمة يتجمع فيها الرجال للاستماع إلى نشرات الأخبار الإذاعية. وبحلول منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي، كانت الإدارة الاستعمارية الفرنسية تحتفظ بقوائم لجميع المقاهي المغاربية التي تمتلك راديو، وتراقب بعناية مشتريات أي أجهزة استقبال جديدة<sup>(85)</sup>. لكنّ البث الإذاعي لم يكن مصدر القلق الوحيد؛ إذ لم يكن الفرنسيون مرتاحين أيضًا بشأن التأثير الخطير المفترض لتسجيلات الموسيقى الأجنبية (غير الفرنسية) في رواد هذه المقاهي. ففي التسجيلات "الشرقية" - التي كانت أصواتها تنطلق في الشارع والمباني المحيطة - كان موظفو مكتب شؤون السكان الأصليين يسمعون أحيانًا وأغانٍ يفوح منها الشعور القومي الصاعد الذي ربط من خلال اللغة المشتركة والأسلوب الموسيقي المشترك بين الجزائريين المسلمين وإخوتهم في الدين في مصر وتونس ولبنان وسورية والعراق. ويورد أحد التقارير أن هذه التسجيلات احتوت على "ترسانة كاملة من الوسائل التي يمكن بواسطتها شحذ عزائم المستمعين، وسحر ألبابهم، وجعلهم يحلمون بمشاعر منسية منذ زمن طويل"<sup>(86)</sup>. لقد كانت جدّة الموسيقى الأجنبية هي التي حولت هذه التسجيلات إلى آلية خطيرة من الدعاية المعادية للفرنسيين، خاصة أن الوسيلة الصوتية التي نُقلت عبرها الرسالة القومية العربية كانت "خيبة"<sup>(87)</sup>.

(83) *Archives National d'Outre Mer, Algérie, Département d'Oran, Série 3040/1, Ministère de l'Intérieur aux Messieurs les Préfets, Paris, 21 Juin 1947.*

(84) المواد الواردة في هذا القسم مستمدة من ورقة مقدمة في مؤتمر جمعية العلوم السياسية الأميركية في عام 2017. ينظر: Michelle D. Weitzel, "Amplifying Frenchness: Sound Regulation as Nation-Making in Colonial Algeria, 1937-1962," *APSA Annual Meeting*, 2017.

(85) للمزيد من المناقشة التفصيلية عن الاستماع إلى الراديو والمقاهي المغاربية، ينظر: Rebecca Scales, *Radio and the Politics of Sound in Interwar France, 1921-1939* (Cambridge: Cambridge University Press, 2016), pp. 231-234.

(86) Causerie faite par Mr. le Bachagha Smati au Cours de Perfectionnement des Affaires Indigènes, "Les Disques de Langue Arabe," *Archives National d'Outre Mer, Algérie, Gouvernement Général d'Algérie, Série 15 H 99.*

(87) جزئيًا، كان القلق الرسمي الفرنسي بشأن البث باللغات الأجنبية مرتبطًا بمعلومات محددة تتعلق بالدعاية المعادية للفرنسية التي كان ينشرها راديو باري الإيطالي الفاشي، وتسجيلات الموسيقى الصادرة عن شركة Baidaphone، التي كان لها مكتب في برلين. اشتبه المسؤولون الفرنسيون في أن مايكل بيداء، الذي كان يجوب المنطقة فيما يتعلق بأعماله التجارية في مجال التسجيلات، عميلٌ ألماني. لكن محفوظات الأرشيف تعكس أيضًا رغبة أكثر انتشارًا في مراقبة عمليات الإرسال السمعي؛ سواء من أجل الترويج على نحوٍ مميز للإذاعات الفرنسية، أو لئسخر الخطاب الإسلامي المقبولة فرنسيًا. ينظر: *Ibid.*

إن قدرة الصوت على الإخلال بالنظام العام وإعادة تشكيل التسلسلات الهرمية الاجتماعية والمكانية، ولو مؤقتاً، اعتُبرت كلها تهديداً حقيقياً لقدرة الإدارة الاستعمارية على السيطرة على البلاد. حظر الحاكم العام الاستيراد الحر لتسجيلات اللغات الأجنبية<sup>(88)</sup> بمرسوم صدر في 14 شباط/ فبراير 1938، ثم اتخذ إجراءات صارمة ضد الأساليب القائمة على الصوت في تمثيل الذات وتكوين الهوية في الفضاء العام<sup>(89)</sup>. ووفق هذا المرسوم، تتطلب كل التسجيلات بغير اللغة الفرنسية موافقة لجنة شكلها الحاكم العام، مؤلفة من رئيس (يختاره الحاكم العام)، ومدير الأمن العام أو من ينوب عنه، والمدير العام لشؤون السكان الأصليين، والنائب العام للجزائر أو من يفوضه، ومدير الأكاديمية أو من يفوضه، وضابط من مديرية الأمن العام. وتقرر توفير مترجم لغة أجنبية لترجمة كل تسجيل.

لم تقتصر السيطرة الاستعمارية الفرنسية على المشهد الصوتي الجزائري على الرقابة؛ لقد تضمنت محاولات استباقية لإشباع البيئة بأصوات اعتبرت وطنية وتربوية؛ أصوات من شأنها، بمرور الوقت، أن تساعد في تكوين مواطنين فرنسيين صالحين. ضُخمت المواكب والشعائر والاحتفالات الكاثوليكية وصُرف عليها بسخاء؛ وبُثت نتائج كل مرحلة من سباق الدراجات الفرنسي السنوي عبر مكبرات الصوت حتى عندما كانت البلديات الاستعمارية في الجزائر تنظم سباقات الدراجات المحلية تزامناً مع حدث فرنسا الكبير، الأمر الذي يوحد رمزياً المستعمرة والبلد المستعمر. واحتُفل بالانتصارات العسكرية الفرنسية التاريخية بكامل الأبهة والفضامة.

ربما كانت هندسة الانفعال، من خلال التحكم في المشهد الصوتي العام في التجربة الجزائرية الاستعمارية، مثلاً صارخاً على هذا النمط من التحكم، لكنها لم تكن فريدة من نوعها؛ إذ يمكن العثور على أمثلة قابلة للمقارنة في سلوك الأنظمة السلطوية في المنطقة. تمثل الرقابة في الشرق الأوسط حتى في يومنا هذا نمطاً مألوفاً نسبياً من القمع، ولكن تأثيرها يُفهم عمومًا من خلال المصطلحات اللغوية، التي تتمحور حول قمع رسالة دلالية أو برنامج سياسي معين. وفي الواقع، تفلت الفنون أحياناً من الرقابة، وذلك على وجه التحديد لأن شكلها غير النصي يمكن من تفسيرها على أنها شيء آخر غير سياسي. وأقترح أن يمتد مفهوم الرقابة ليشمل اعتبارات الجو العام من أجل لفت الانتباه إلى أنماط من السيطرة تشكل عامل ضغط غير مرئي وتؤثر في التجربة اليومية والمشاركة السياسية.

على شاكلة الحقبة الاستعمارية، تواصل دول ما بعد الانتفاضات العربية الاعتماد على الصوت لتشكيل نظام اجتماعي وعاطفي يدعم سلطة الدولة على ما يُظن. ويبرز هذا الأمر إلى الواجهة بعدة طرائق. ففي مصر، حيث المدن الشهيرة بصخبها، طرحت السلطات المصرية علاجاً لهذه المشكلة فكرة مفادها بث

(88) حُدِّد أنه تسجيلات بأي لغة أخرى غير الفرنسية، وذلك في مذكرة من مدير شؤون السكان الأصليين إلى حكام المقاطعات في 8 شباط/ فبراير 1938، وقَّعها لويس ميليو. ينظر:

Archives National d'Outre Mer, Série 15 H 32.

(89) Archives National d'Outre Mer, Série 15 H 32, Arrêté- République Française, Gouvernement Général de l'Algérie, Direction de la Sécurité Générale, Signé par G. Le Beau, 14 Février 1938.

أذان واحد منسق للصلاة من العديد من مساجد القاهرة. يضغط المدافعون عن الأذان الموحد لتنفيذ هذه الخطوة على أساس أنها تفضي إلى مشهد صوتي عام أكثر راحة للسمع، وأنها أصلح في توصيل الرسالة التي يتنافس المؤذنون على جذب الانتباه إليها في أماكن حضرية صاخبة، وأنها تتيح تحكماً أكثر في التوقيت الدقيق لبث الأذان، وكل ذلك مع مراعاة أحكام السنة النبوية. ويجادل المعارضون بأن هذه الخطوة تركّز السلطة في أيدي الحكومة، وتُسكت أصوات مئات المؤذنين المحليين، وتفضي إلى استئثار الدولة بالسيطرة الدينية على نحو غير مقبول، وبطريقة يقول بعضهم إنها ترقى إلى "الخيانة"<sup>(90)</sup>. ويتواصل السجال في هذا الموضوع مع قيام حكومة عبد الفتاح السيسي باختبار بث تجريبي موحد للأذان من 113 مسجداً في شباط/ فبراير 2019<sup>(91)</sup>.

ويعدّ السماح بإنتاج وتداول الأصوات التي تعتبر غير عدائية استراتيجيةً سياسيةً أيضاً. ففي جميع أنحاء الشرق الأوسط، طالما كانت كرة القدم وسيلة حاسمة تلقفتها الأنظمة الحاكمة وسعت بوساطتها إلى إضفاء الشرعية على حكمها وإلغاء شعوبها عن الإجراءات السياسية غير الشعبية. ظهرت الهتافات في ملاعب مباريات كرة القدم بصفتها من المواقع التي يحافظ فيه مسؤولو النظام والشباب على الوضع القائم الحذر، على الرغم من الحضور المتكرر لهتافات معادية للسلطة والشرطة والنظام. كانت ملاعب كرة القدم قبل الانتفاضات العربية أماكن يُسمح فيها موقفاً بالتمرد والعصيان، وكانت بمنزلة "صمام أمان" مجتمعي ضد الشباب الساخطين والمستائين. وغالباً ما يأتي في مقدمة هذه التفاعلات ظاهرة "الألتراس" المتمثلة في مشجعي أندية كرة القدم الشغوفين بأفكار خاصة عن الأشكال الملائمة للتشجيع التي تشمل "الغناء والقرع على الطبول والهتاف بلا توقف، جنباً إلى جنب مع رفع اللافتات الضخمة والأعلام وإطلاق الألعاب النارية والرقص على المدرجات"<sup>(92)</sup>. يصف محفوظ عمارة، في مقالته عن الألتراس في الجزائر، المشهد بأنه إحدى المناسبات القليلة التي قد يجتمع فيها الشبان المهمشون، ويعبرون عن إحباطهم، ويسخرون من رموز سلطة الدولة، ويتهكون حدود الخطاب المؤسساتي عن الشرعية السياسية للدولة وأخلاقيتها وخطابها الوطني<sup>(93)</sup>. على هذا النحو، احتوت الدولة الأصوات الهدامة وقصرتها على مجال مادي معيّن، وغطّتها بحجاب غير سياسي قوامه المنافسة الرياضية، وسمحت بها في الوقت نفسه وسيلةً تنفيس ضغط اجتماعية مضبوطة. لم تنتشر هذه الاستراتيجية في كل مكان. ففي مصر ما بعد الانتفاضة، اتخذت الحكومة إجراءات صارمة ضد هذه العروض المذهلة من التشجيع؛ إذ منعت حضور المباريات تماماً عقب اضطرابات على صلة بكرة القدم اندلعت في

(90) "Unified Call to Prayer Planned in Cairo," *Middle East Economic Digest*, vol. 48, no. 40 (September 2004).

(91) "Experimental Unified Adhan Applied in 113 Cairo Mosques," *Egypt Today*, 28/2/2019, accessed on 15/1/2022, at: <https://bit.ly/33gGaeK>

(92) Robert Woltering, "Unusual Suspects: 'Ultras' as Political Actors in the Egyptian Revolution," *Arab Studies Quarterly*, vol. 35, no. 3, Special Issue: Perspectives on the Arab Uprisings (2013), p. 291.

(93) Mahfoud Amara, "Football Sub-Culture and Youth Politics in Algeria," *Mediterranean Politics*, vol. 17, no. 1 (2012), pp. 41-58. On this topic, see also: Laryssa Chomiak, "Spectacles of Power: Locating Resistance in Ben Ali's Tunisia," *Portal*, vol. 9, no. 2 (2013), pp. 71-84.

بورسعيد في عام 2012. وكان الحظر ساري المفعول حتى عام 2018، حينما سُمح لمشجعي كرة القدم - ولكن ليس الألتراس - بالعودة إلى الملاعب<sup>(94)</sup>.

أريد أن أختتم بمثال أخير من تونس متعلق بتبني الدولة للصوت بصفته وسيلةً في خدمة الأمن والسيطرة. وهذا الحادث غير معتاد، إلى حد ما، من حيث إنه يقع خارج نطاق الجهود المبذولة لتنظيم العواطف وضبطها عبر السيطرة على الفضاء العام. وبدلاً من ذلك، فإنه يعرض كيف أنّ التقنيات الحديثة تمكن، على نحو متزايد، من نشوء أشكال متطورة ومحكمة من السلطة السياسية - الحيوية. ففي عام 2005، أصدر مغني الراب فريد المازني، المعروف باسم فريد المهاجر (رحل إلى إسبانيا هرباً من القيود التونسية المفروضة على موسيقاه)، أغنية عبر الإنترنت مناهضة للنظام عنوانها "العباد في التركيبة" (الناس في سجن الهواء الطلق). تتناول الأغنية قضايا وحشية الشرطة والإذلال وكآبة الحياة في تونس حيث تكون فرص التشغيل محدودة. حرصت السلطات التونسية على الإيقاع بالمغني، ولذلك عمدت إلى تجميع عدد من مغني الراب، وأحضرتهم إلى مركز للشرطة، وأجبرتهم على تأدية أغنية "العباد في التركيبة" أثناء استخدام أحد برامج التعرف على الصوت سعياً لتحديد من منهم المازني والإيقاع به<sup>(95)</sup>. على هذا النحو، قامت الدولة بعزل الخصائص الصوتية من محتوى الكلام الدلالي، في محاولة لتكون أصوات المطربين ضدهم والكشف بالقوة عن الهوية الصوتية التي تدينهم<sup>(96)</sup>.

## خاتمة

تجمع هذا الدراسة في طياتها أدبيات تدرس الجماليات والفضاء والعواطف في السياسة العالمية بغية فحصها من زاوية غير معتادة، ولا سيما المحفزات الحسية السمعية التي تربط بين هذه المجالات في موقع هو الجسد البشري. وتبين كيف أنّ البيئة السمعية تندرج في التقنيات وطرائق التحكم والسيطرة وتغذيها، وبذلك تساهم في المناقشة النظرية حول كيفية تجلّي الإدراك المتجسد في الجموع وكيفية ترجمته إلى صناعة قرار وسلوك سياسي. ويأخذ هذا النهج في الاعتبار الطرائق التي يتم بها إنتاج الفضاءات العامة؛ ليس فقط من الناحية البصرية والمعمارية، بل أيضاً حسياً بوصفها بيئات تفرز ضغوطاً ثابتة غير مرئية وتوجه تفسيرات الحوادث السياسية. وقد أوضحت، من خلال تحليل الشعارات والموسيقى والهتافات، كيفية استفادة المحتجين في الانتفاضات العربية من القدرات الانفعالية للصوت على تحفيز المشاركة، وضبط الحشود الضخمة، وخلق ذواتٍ جديدة موحدة، وتنظيم كثافة المشاركة

(94) Middle East Eye Staff Writer, "Egypt Allows Football Fans – but not Ultras Back into Stadiums," *Middle East Eye*, 18/9/2018, accessed on 15/1/2022, at: <https://bit.ly/3FA0vZo>

للإطلاع على نظرة أكثر تفصيلاً عن كرة القدم في الشرق الأوسط، ينظر:

James Dorsey, *The Turbulent World of Middle East Soccer* (London: Hurst, 2016), or Dorsey's eponymous blog online, accessed on 15/1/2022, at: <http://mideastsoccer.blogspot.com/>

(95) Bouzouita, p. 287.

(96) لمزيد من التفاصيل عن موضوع التعرف إلى الصوت بصفته ممارسة أمنية، ينظر:

Michelle D. Weitzel, "Audializing Migrant Bodies: Sound and Security at the Border," *Security Dialogue*, vol. 49, no. 6 (2018), pp. 421–437.

الجسدية. وبغية المقارنة بالمساعي من أعلى إلى أدنى، ولإظهار مدى تأثير هندسة الحواس بصفتها طريقة تتبعها السلطة السياسية، فإنني ألفت الانتباه أيضًا إلى مشاريع الدولة التي تهدف إلى التلاعب بالمشاعر العامة. تاريخيًا، حاولت الإدارات الاستعمارية الفرنسية في الشرق الأوسط السيطرة على المحيط الصوتي وضبطه، وقمع الأصوات "غير الفرنسية" وتضخيم الوقائع الصوتية التي تسهم في تنشئة مواطنين مثاليين وموالين. كان من الصعب حتمًا فرض السيطرة على المشهد الصوتي، ولا يمكن تحقيقه بأي معنى مهيمن، لكنه مع ذلك شكّل أحد جوانب السياسة الفرنسية الرسمية في مواجهة "التهديد" الذي قد تتعرض له السيادة الفرنسية. وحاليًا، تستمر أنظمة الشرق الأوسط في استخدام هندسة الانفعال عبر الوسائط الصوتية وغيرها من الوسائط الحسية بصفتها طريقة للسيطرة والقمع، وبصفتها استراتيجيات في ممارسة الحكم غالبًا ما تمر من دون أن يلاحظها أحد، بسبب الطريقة التي يتم بها تحليل الفضاء العام والأجساد البشرية على حدة، بدلًا من اعتبارها وحدات تكوينية في التحليل.

## References

## المراجع

- Al-Saleh, Asaad (ed.). *Voices of the Arab Spring*. New York: Columbia University Press, 2015.
- Amara, Mahfoud. "Football Sub-Culture and Youth Politics in Algeria." *Mediterranean Politics*. vol. 17, no. 1 (2012).
- Anderson, Benedict. *Imagined Communities: Reflections on the Origin and Spread of Nationalism*. New York: Verso, 1983.
- Archives National d'Outre-Mer*. Algérie, Département d'Oran. Série 3040/1. Ministère de l'Intérieur à Messieurs les Préfets. Paris, 21 Juin 1947.
- Archives National d'Outre Mer*. Série 15 H 32. Arrêté-République Française. Gouvernement Général de l'Algérie. Direction de la Sécurité Générale. Signé par G. Le Beau, 14 Février 1938.
- Bargu, Banu. *Starve and Immolate: The Politics of Human Weapons*. New York: Columbia University Press, 2014.
- Barney, Jay & Teppo Felin. "What are Microfoundations?" *The Academy of Management Perspectives*. vol. 27, no. 2 (2013).
- Bayat, Asef. *Street Politics: Poor People's Movement in Iran*. New York: Columbia University Press, 1997.
- Bispham, Jon. "Rhythm in Music: What is it? Who Has It? And Why?" *Music Perception*. vol. 24, no. 2 (2006).
- Bleiker, Roland. "The Aesthetic Turn in International Political Theory." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 30, no. 3 (2001).
- Bleiker, Roland, & Emma Hutchinson. "Fear No More: Emotions and World Politics." *Review of International Studies*. vol. 34 (2008).

Bouzouita, Kerim. "Music of Dissent and Revolution." *Middle East Critique*. vol. 22, no. 3 (2013).

Butler, Judith. "Bodies in Alliance and the Politics of the Street." Lecture held in Venice, 7/9/2011, by the Office for Contemporary Art Norway. The European Institute for Progressive Politics. at: <https://bit.ly/31WTy6U>

Chomiak, Laryssa. "Spectacles of Power: Locating Resistance in Ben Ali's Tunisia." *Portal*. vol. 9, no. 2 (2013).

Crawford, Neta. "Institutionalizing Passion in World Politics: Fear and Empathy." *International Theory*. vol. 6, no. 3 (2014).

d'Aulair, De Ingri & Edgar Parin d'Aulaire. *D'Aulaires' Book of Greek Myths*. New York. Delacourt Press, 1962.

De Certeau, Michel. *The Practice of Everyday Life*. Berkeley: University of California Press, 1984.

Deleuze, Gilles & Felix Guatarri. *A Thousand Plateaus: Capitalism and Schizophrenia*. Brian Massumi (trans.). London: Continuum Press, 2003.

Dorsey, James. *The Turbulent World of Middle East Soccer*. London: Hurst, 2016.

Durkheim, Emile. *Elementary Forms of Religious Life*. Carol Cosman (trans.). Oxford: Oxford University Press, 2001 [1912].

Ehrenreich, Barbara. *Dancing in the Streets: A History of Collective Joy*. New York: Metropolitan Books/ Henry Holt and Co., 2006.

El Gobashy, Mona. "The Praxis of the Egyptian Revolution." *Middle East Report*. vol. 258. People Power (Spring 2011).

Esposito, John (ed.). *Religion and Violence*. Basel: MDPI, 2016.

Feola, Michael. "The Body Politic: Bodily Spectacle and Democratic Agency." *Political Theory*. vol. 46, no. 2 (2018).

Flam, Helena & Debra King. *Emotions and Social Movements*. New York: Routledge, 2005.

"Forum: The Aesthetic Turn at 15." *Millennium: Journal of International Studies*. vol. 45, no. 2 (2017).

Gershon, Walter. "Vibrational Affect: Sound Theory and Practice in Qualitative Research." *Cultural Studies Critical Methodologies*. vol. 13, no. 4 (2013).

Gibson, James J. *The Perception of the Visual World*. Oxford: Houghton Mifflin, 1950.

\_\_\_\_\_. *The Senses Considered as Perceptual Systems*. Boston: Houghton Mifflin, 1966.

\_\_\_\_\_. *The Ecological Approach to Visual Perception*. New York: Taylor and Francis, 1986.

Goodale, Greg. *Sonic Persuasion: Reading Sound in the Recorded Age*. Champaign: University of Illinois Press, 2011.

Goodman, Steve. *Sonic Warfare: Sound, Affect, and the Ecology of Fear*. Cambridge: MIT Press, 2012.

Goodwin, Joscelyn. *Music, Mysticism, and Magic: A Sourcebook*. London: Routledge, 1986.

Gautier, Ana Maria Ochoa. *Aurality: Listening and Knowledge in 19<sup>th</sup> Century Columbia*. Durham: Duke University Press, 2014.

Gould, Deborah. *Moving Politics: Affect, Emotions, and Shifting Political Horizons in the Fight Against aids*. Chicago: Chicago University Press, 2009.

Graeber, David. *The Democracy Project: A History. A Crisis. A Movement*. London: Allen Lane, 2013.

Gregory, Derek. "Tahrir: Politics, Publics, and Performances of Space." *Middle East Critique*. vol. 22, no. 3 (2013).

Haddad, Bassam, Rosie Bsheer & Ziad Abu-Rish. *The Dawn of the Arab Uprisings: End of an Old Order?* London: Pluto Press, 2012.

Hall, Todd. "We will not Swallow this Bitter Fruit: Theorizing a Diplomacy of Anger." *Security Studies*. vol. 20, no. 4 (2011).

Harkin, James. "The Incredible Story Behind the Syrian Protest Singer Everyone Thought Was Dead." *GQ*. 7/12/2016. at: <https://bit.ly/33c3oCM>

Head, Naomi. "Costly Encounters of the Empathetic Kind: A Typology." *International Theory*. vol. 8, no. 1 (2016).

Herrera, Linda. *Revolution in the Age of Social Media: The Egyptian Popular Insurrection and the Internet*. London: Verso, 2014.

Honig, Bonnie. *Public Things: Democracy in Despair*. New York: Fordham University Press, 2017.

Hutchison, Emma & Roland Bleiker. "Theorizing Emotions in World Politics." *International Theory*. vol. 6, no. 3 (2014).

Iyengar, Shanto et al. "The Origins and Consequences of Affective Polarization in the United States." *Annual Review of Political Science*. vol. 22 (2019).

Iyengar, Shanto, Gaurav Sood & Yphtach Lelkes. "Affect, Not Ideology: A Social Identity Perspective on Polarization." *Public Opinion Quarterly*. vol. 76, no. 3 (2012).

Jasper, James. "The Doors that Culture Opened: Parallels Between Social Movement Studies and Social Psychology." *Group Processes and Intergroup Relations*. vol. 20, no. 3 (2017).

\_\_\_\_\_. *The Emotions of Protest*. Chicago: Chicago University Press, 2018.



Khalidi, Rashid. "Reflections on the Revolution in Tunis and Egypt." *Foreign Policy*. 24/2/2011. at: <https://bit.ly/3GzR4uc>

Khondker, Habibul Haque. "The Role of the New Media in the Arab Spring." *Globalizations*. vol. 8, no. 5 (2011).

Le Bon, Gustave. *The Crowd: A Study of the Popular Mind*. New York: MacMillan, 1896.

Lefebvre, Henri. *The Production of Space*. Malden: Blackwell Publishers, 1991.

Levine, Mark. "Theorizing Revolutionary Practice: Agendas for Research on the Arab Uprisings." *Middle East Critique*. vol. 22, no. 3 (2013).

Leys, Ruth. "The Turn to Affect: A Critique." *Critical Inquiry*. vol. 37, no. 3 (2011).

Löwenheim, Oded & Gadi Heimann. "Revenge in International Politics." *Security Studies*. vol.17, no. 4 (2008).

Lynch, Marc (ed.). *The Arab Uprisings Explained: New Contentious Politics in the Middle East*. New York: Columbia University Press, 2014.

Lynch, Marc. "After Egypt: The Limits and Promise of Online Challenges to the Authoritarian Arab State." *Perspectives on Politics*. vol. 9, no. 2 (2011).

\_\_\_\_\_. *The Arab Uprisings: The Unfinished Revolutions of the New Middle East*. New York: Public Affairs, 2012.

Maor, Moshe & James Gross. "Emotion Regulation by Emotional Entrepreneurs: Implications for Political Science and International Relations." Paper presented at the 73<sup>rd</sup> Annual MPSA Conference, 2015. at: <https://bit.ly/3FwsPvy>

Massumi, Brian. *Parables for the Virtual: Movement, Affect, Sensation*. Durham: Duke University Press, 2002.

Mattern, Janice Bially, "On Being Convinced: An Emotional Epistemology of International Relations." *International Theory*. vol. 6, no. 3 (2014).

McDermott, Rose. "The Body Doesn't Lie: A Somatic Approach to the Study of Emotions in World Politics." *International Theory*. vol. 6, no. 3 (2014).

McGarty, Craig et al. "New Technologies, New Identities, and the Growth of Mass Opposition in the Arab Spring." *Political Psychology*. vol. 35, no. 6 (2013).

McNeill, William H. *Keeping Together in Time: Dance and Drill in Human History*. Cambridge: Harvard University Press, 1997.

Mercer, Jonathan. "Emotional Beliefs." *International Organization*. vol. 64, no. 1 (2010).

\_\_\_\_\_. "Feeling Like a State: Social Emotion and Identity." *International Theory*. vol. 6, no. 3 (2014).

- Mitchell, Timothy. *Colonizing Egypt*. Berkeley: University of California Press, 1991.
- Palencik, Joseph. "William James and the Psychology of Emotion: From 1884 to the Present." *Transactions of the Charles S. Pierce Society*. vol. 43, no. 4 (2007).
- Parks, Robert P. "Voter Participation and Loud Claim Making in Algeria." *Middle East Report*. vol. 281 (Winter 2016).
- Pearlman, Wendy. "Emotions and the Microfoundations of the Arab Uprisings." *Perspectives on Politics*. vol. 11, no. 2 (2013).
- Rabat, Nasser. "The Arab Revolution Takes Back the Public Space." *Critical Inquiry*. vol. 39, no. 1 (August 2012).
- Racy, A.J. "Domesticating Otherness: The Snake Charmer in American Popular Culture." *Ethnomusicology*. vol. 60, no. 2 (2016).
- Reus-Smit, Christian. "Emotions and the Social." Forum: Emotions and World Politics: *International Theory*. vol. 6, no. 3 (2014).
- Ross, Andrew. *Mixed Emotions: Beyond Fear and Hatred in International Conflict*. Chicago: University of Chicago Press, 2014.
- Rua Wall, Illan. "Policing Atmospheres: Crowds, Protests and 'Atmotechnics.'" *Theory, Culture & Society*. vol. 36, no. 4 (2019).
- Salama, Hussam Hussein. "Tahrir Square: A Narrative of Public Space." *Archnet-IJAR: International Journal of Architectural Research*. vol. 7, no. 1 (2013).
- Saurette, Paul. "You Dissin Me? Humiliation and Post-9/11 Global Politics." *Review of International Studies*. vol. 32, no. 3 (2006).
- Scales, Rebecca. *Radio and the Politics of Sound in Interwar France, 1921-1939*. Cambridge: Cambridge University Press, 2016.
- Scott, James, C. *Seeing Like a State: How Certain Schemes to Improve the Human Condition Have Failed*. New Haven: Yale University Press, 1998.
- Singerman, Diane (ed.). *Cairo Contested: Governance, Urban Space, and Global Modernity*. Cairo: Cairo University Press, 2009.
- Solomon, Ty. "Ontological Security, Circulations of Affect, and the Arab Spring." *Journal of International Relations and Development*. vol. 21, no. 2 (2017).
- Sprengel, Darci. "'More Powerful than Politics!': Affective Magic in the DIY Musical Activism after Egypt's 2011 Revolution." *Popular Music*. vol. 38, no. 1 (2019).
- Sullivan, Larry E. (ed.). "Cannon-Bard Theory." *Sage Glossary of the Social and Behavioral Sciences*. Los Angeles/ London/ New Delhi/ Singapore: Sage Publications, Inc., 2009.

- Tawil–Souri, Helga. "It's Still About the Power of Place." *Middle East Journal of Culture and Communication*. vol. 5, no. 1 (2012).
- Thompson, Simon & Paul Hoggett. *Politics and the Emotions: The Affective Turn in Contemporary Political Studies*. New York: Continuum Publishing Group, 2012.
- Tilly, Charles. "Does Modernization Breed Revolution?" *Comparative Politics*. vol. 5, no. 3 (1973).
- Tova, Benski & Lauren Langman. "The Effects of Affects: The Place of Emotions in the Mobilizations of 2011." *Current Sociology*. vol. 61, no. 4 (2013).
- Tripp, Charles. "The Art of Resistance in the Middle East." *Asian Affairs*. vol. 43, no. 3 (2012).
- Tufekci, Zeynep & Christopher Wilson. "Social Media and the Decision to Participate in Political Protest: Observations from Tahrir Square." *Journal of Communication*. vol. 62, no. 2 (2012).
- Turino, Thomas. *Music as Social Life: The Politics of Participation*. Chicago: Chicago University Press, 2008.
- Van Zomeren, Martijn & Winnifred Louis. "Culture Meets Collective Action: Exciting Synergies and Some Lessons to Learn for the Future." *Group Processes and Inter–group Relations*. vol. 20, no. 3 (2017).
- "Unified Call to Prayer Planned in Cairo." *Middle East Economic Digest*. vol. 48, no. 40 (September 2004).
- Volpi, Frédéric & James M. Jasper (eds.). *Microfoundations of the Arab Uprisings: Mapping Interactions between Regimes and Protesters*. Amsterdam: Amsterdam University Press, 2018.
- Von Scheve, Christian & Mikko Salmela (eds.). *Collective Emotions: Perspectives from Psychology, Philosophy, and Sociology*. Oxford: Oxford University Press, 2014.
- Walt, Vivienne. "El General and the Rap Anthem of the Mideast Revolution." *Time Magazine*. 15/2/2011. at: <https://bit.ly/3Gxgo49>
- Wedeen, Lisa. *Peripheral Visions: Publics, Power, and Performance in Yemen*. Chicago: Chicago University Press, 2008.
- Weitzel, Michelle D. "Amplifying Frenchness: Sound Regulation as Nation–Making in Colonial Algeria, 1937–1962." Paper presented at the annual American Political Science Association conference, 2017.
- Weitzel, Michelle D. "Audializing Migrant Bodies: Sound and Security at the Border." *Security Dialogue*. vol. 49, no. 6 (2018).
- Werbner, Pnina, Martin Webb & Kathryn Spellman–Poots (eds.). *The Political Aesthetics of Global Protest: The Arab Spring and Beyond*. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2014.

Williams, Raymond. *Marxism and Literature*. Cambridge: Cambridge University Press, 1977.

Wiltermuth, Scott & Chip Heath. "Synchrony and Cooperation." *Psychological Science*. vol. 20, no. 1 (2009).

Winegar, Jessica. "A Civilized Revolution: Aesthetics and Political Action in Egypt." *American Ethnologist*. vol. 43, no. 4 (2016).

Woltering, Robert. "Unusual Suspects: 'Ultras' as Political Actors in the Egyptian Revolution." *Arab Studies Quarterly*. vol. 35, no. 3 Special Issue: Perspectives on the Arab Uprisings (2013).

Young, Lauren. "The Psychology of State Repression: Fear and Dissent Decisions in Zimbabwe." *American Political Science Review*. vol. 113, no. 1 (2019).

#### مراجع إضافية

Goodwin, Jeff & James M. Jasper (eds.). *Rethinking Social Movements: Structure, Meaning, and Emotion*. New York: Rowman and Littlefield Publishers, 2004.

Hofman, Ana. "The Affective Turn in Ethnomusicology." *Musicology*. vol. 18, no. 1 (2015).

Wedeen, Lisa. *Ambiguities of Domination: Politics, Rhetoric, and Symbols in Contemporary Syria*. Chicago: Chicago University Press, 2015.